جامعة محمد خيضر بسكرة
كلية الآداب و اللغات
قسم الآداب و اللغة العربية

مذكرة ماستر

ميدان: لغة وأدب عربي
فرع: الدراسات الأدبية
تخصص: أدب عربي حديث ومعاصر
رقم: أ،ح،م/47

إعداد الطالب: سي بوعكاز محمد عبد العزيز
يوم: 27/06/2022

الصراع في رواية "كريسماس في مكة" لأحمد خيري العمري

لجنة المناقشة:

صالح مفقودة	أ.د	جامعة محمد خيضر - بسكرة	رئيسا
نوال بن صالح	أ.د	جامعة محمد خيضر - بسكرة	مشرفا ومقررا
محمد الأمين بحري	أ.د	جامعة محمد خيضر - بسكرة	مناقشا

السنة الجامعية :2021\2022

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

أهدي هذه الصفحات إلى

أهلي، وبالخصوص والديَّ العزيزين وجدتي الغالية أطال الله بقاءهم.

وإلى الصراعات التي مرت بحياتي وجعلتني أقوى وعلمتني التعاطف.

«لكي يعرف الإنسان السلام يجب أن يجرب الصراع، عليه أن يمر بالمرحلة البطولية قبل أن يتمكن من التصرف كحكيم، يجب أن يصبح ضحية انفعالاته قبل أن يتمكن من التعالي عليها».

هنري ميلر.

مقدمة

مـقـدمـة:

ارتبطت الرواية بالحياة الإنسانية بشكل جعلها ذات طبيعة خاصة، تؤدي وظائف محددة، فهي ترصد الإنسان في كل حالاته، وتعبر عن آماله وهمومه ومشكلاته، فقد شكلت الرواية مرتعاً خصباً تطرح فيه مختلف المعالم الفكرية والحضارية والظواهر الاجتماعية والصراعات الإنسانية عبر العصور.

ويعد الصراع ظاهرة ثابتة في الوجود الإنساني منذ القدم، إذ لم يخلُ منه عصر من العصور، وبما أن الصراع ملازم للإنسان من القدم فقد تجلى في كل مستويات الحياة؛ سواء الشخصية أي النفسية أو العامة للبشرية وعلى جميع الأبعاد فردية كانت أو جماعية، وبما أن الرواية العربية تزدحم بالعديد من الاتجاهات والظواهر والمشكلات الاجتماعية التاريخية والمعاصرة، فقد وظفت الصراع بمفاهيم متعددة وبأشكال مختلفة؛ صراع حضاري أو سياسي أو اجتماعي أو حتى نفسي...، ومن ثم نجد أن الصراع في الرواية العربية الجديدة مركز استقطاب الدراسات الأدبية والنقدية.

ورواية "كريسماس في مكة" من بين الروايات المعاصرة التي عالجت موضوع الصراع والتي كانت أنموذجا لموضوع بحثنا الموسوم بـ "**الصراع في رواية كريسماس في مكة لأحمد خيري العمري**". وعلى هذا الأساس كان سبب اختيارنا لهذا الموضوع وهذه الرواية بالتحديد هو أنها تناقش العديد من الموضوعات التي تحدث في عصرنا الحالي وفي البلاد العربية بوجه خاص، كالتفرقة الطائفية، وصراع الهويات والغربة، كما ناقشت المعاناة التي عاشها العراق في الماضي والحاضر، وما تحمله الرواية من صراعات وتناقضات بداية من العنوان. وكذلك رغبتنا في دراسة هذه الرواية من منظور أحد الوجوه النقدية وهو الصراع، إلى جانب البحث عن ماهية الصراع وأشكال تجليه في الرواية. والذي يمكن مناقشته تحت إشكاليات قام على أساسها البحث:

ما مفهوم الصراع في الرواية؟ وما هي أشكاله في الرواية؟

كيف تجلى الصراع في رواية " كريسماس في مكة"؟

وكيف وظف الكاتب الصراع مع عناصر السرد الأخرى؟

ولمعالجة هذه الإشكاليات قسمنا بحثنا إلى مدخل مفاهيمي وفصلين تطبيقين، فضلا عن مقدمة وخاتمة.

حمل المدخل عنوان **إضاءة على المصطلحات النقدية**، وهذا نظرا لطبيعة الموضوع الذي يتطلب مدخلاً نظرياً لتحديد ماهية الصراع وكذا المصطلحات التي تتداخل معه، وتطرقنا فيه أيضا إلى أسباب الصراع، إضافة إلى الحديث عن الصراع في السرد العربي، فالمدخل هو المهاد لتحديد هذه المفاهيم.

وعقب هذا المدخل، جاء الفصل الأول الذي حمل عنوان **الصراع وتمثلاته في الرواية**. ومزج هذا الفصل بين الجانبين النظري والتطبيقي، وحاولنا أن نستخرج فيه أهم أشكال الصراع في الرواية، وقسمنا هذا الفصل بدوره إلى أربعة عناصر، الأول تناولنا فيه الصراع النفسي في الرواية واشتمل على كل ما يعنى بالجانب النفسي والحالة النفسية، أما الثاني فعنوناه بالصراع الديني والذي تعدد في الرواية بكل أشكاله وعرضنا خلاله الصراعات الطائفية والخلافات حول المسائل العقيدية وصراع الشخصيات مع الدين، بينما تطرقنا في العنصر الثالث لصراع الهوية والذي تناولنا فيه مفهوم الهوية وكيف تجلى صراع الهوية في الرواية، أما العنصر الرابع فعالجنا الصراع التاريخي السياسي الذي تجلى في رواية "كريسماس في مكة" عرضنا فيها الخلفية التاريخية لهذا الصراع.

وتلا هذا الفصل، فصل ثانٍ تطبيقي أكثر مما هو نظري، حمل عنوان **الصراع والبنية السردية في الرواية**، والذي بدوره انقسم إلى ثلاثة عناصر، الأول تناولنا فيه صراع العنوان وذلك لما يحمله عنوان روايتنا من تناقض ومفارقة، أما العنصر الثاني فتضمن الصراع والشخصية، وفيه تطرقنا فيه إلى مفهوم الشخصية وكيف تجلى الصراع في الشخصية وذلك عن طريق صراع الشخصية مع نفسها أو مع الشخصيات الأخرى، أما العنصر الثالث فخصصناه إلى الصراع الزمكاني في الرواية، وذلك من خلال الكشف عن تجليات الصراع في الزمان والمكان ودورهما في بنائه.

أما فيما يتعلق بالمنهج المعتمد فقد استفاد البحث من آليات المنهج البنيوي في تحليل المتن الروائي كما استعان بالمنهج التاريخي في بعض مفاصله.

ولا بد لهذا البحث أن يعتمد على مجموعة من المصادر والمراجع التي ستساعد على بنائه، نذكر منها:

- رواية كريسماس في مكة لأحمد خيري العمري.
- الصراع الفكري في السرد العربي المعاصر دراسات في الرؤية والأداء لورد محمد مكاوي عزب وسحر حسين شريف.
- في نظرية الرواية، عبد الملك مرتاض.
- أنواع الصراع في روايات نجيب الكيلاني لأحمد ميساوي.
- بنية الشكل الروائي (الفضاء، الزمن، الشخصية) لحسن بحراوي.
- بنية النص السردي (من منظور النقد الأدبي) لحميد لحمداني.

وكما لا يخلو أي بحث أكاديمي من الاسترشاد بالمراجع فإنه لا يخلو أيضا من الصعوبات والعراقيل التي تواجهه، ولعل أكبر صعوبة واجهتنا هي قلة الدراسات التي تناولت موضوع الصراع وخاصة في الرواية، وكذلك تشعب مادة الصراع وقلة المراجع الورقية التي تخدم موضوعنا، وكذلك صعوبة تتبع الصراع على المستوى الداخلي للرواية.

كانت هذه بعض الصعوبات التي واجهتنا في البحث، وما كانت معالم هذه الدراسة لتكتمل لولا فضل الله عز وجل وتوفيقه، وفضل الأستاذة المشرفة التي أمدتنا بالتوجيهات السديدة وبصرتنا على مواضع الخطأ، وهذا الأمر أسهم في النهوض بالبحث.

وفي الأخير نتقدم بجزيل الشكر والامتنان للأستاذة المشرفة "نوال بن صالح" على ما أفادتنا به من معلومات في مشوارنا العلمي.

مدخل نظري

إضاءة على المصطلحات النقدية

- **أولا: مفهوم الصراع:**
- **ثانيا: بعض المفاهيم المرتبطة بالصراع وتتداخل معه:**
- **ثالثا: أسباب الصراع:**
- **رابعا: الصراع في الرواية العربية:**

يعتبر الصراع ظاهرة ذات أبعاد متناهية التعقيد بالغة التشابك، يمثل وجودها أحد معالم الواقع الإنساني الثابتة، حيث تعود الخبرة البشرية بالصراع إلى نشأة الإنسان الأولى حيث عرفتها علاقاته في مستوياتها المختلفة وأبعادها المتنوعة، نفسية أو اجتماعية، سياسية أو اقتصادية، ثقافية أو تاريخية...

أولا: مفهوم الصراع:

للصراع معانٍ متعددة ومتشعبة اختلفت من مجال لآخر، ومصطلح الصراع يستعمل كثيرا في مجالات العلوم الإنسانية، خاصة علم النفس وعلم الاجتماع، بالإضافة إلى التاريخ. وكي نجعل الأمر أكثر وضوحا ارتأينا أن نبدأ دراستنا بتناول المصطلح تناولا لغويا واصطلاحيا.

1. الصراع لغة:

جاء في لسان العرب (لابن منظور) أن: "الصرعُ: الطرحُ بالأرض، وخصه في التهذيب بالإنسان، صارعه فصَرَعَه يصْرَعُه صرْعاً وصرعاً".[1]

"صرعته المنية: أي مات وصرعه الباب: جعله مصرعين وصرع البيت من الشعر جعل عروضه كضربه، والصريع: القضيب من الشجر".[2]

الصرعُ، ويكسرُ: الطرْحُ على الأرض، كالمصْرَع، كمَقعد وهو مَوْضِعهُ أيضا، وقد صَرَعهُ، كمنعه. والصرْعُ: عِلةٌ تَمْنَعُ الأعضاء النفسية من أفعالها منعا غير تام.[3]

1- ابن منظور: أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، ط3، 1993، م10، مادة (ص ر ع)، ص197.

2- المصدر نفسه، ص 199.

3- الفيروز ابادي، القاموس المحيط، دار الحديث، قاهرة، مصر، د.ط، 2008، ص924.

كما وردت لفظة صرعى الدالة على الصراع في قوله تعالى: ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا ۖ فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ۝٧﴾ [سورة الـحاقّـة، الآية: 7.]

لفظة صرعى في هذه الآية الكريمة تعني القتل والطرح بالأرض بعد صراع طويل ترى الناس مطروحين بالأرض.

2. الصراع اصطلاحا:

تعددت تعريفات الصراع بتعدد تعريفات الباحثين واختلاف تخصصاتهم ويمكن أن نورد التعريفات الآتية:

يعرف الصراع في معجم المسرح لـ(باتريس بافي): "بالإنجليزية: Conflict؛ بالألمانية: Konflikt؛ بالإسبانية: Conflicto.

ينتج النزاع الدرامي من قوى منافسة في الدراما. ويضع شخصيتين أو أكثر في حالة خصام، ورؤى مختلفة للعالم أو مواقف إزاء الموقف نفسه".[1] أي أن الصراع في الدراما هو نزاع بين شخصين أو أكثر مختلفين في الآراء والهدف.

يعرف مفهوم الصراع في قاموس مصطلحات الفلسفة بأنه "النزاع والمبالغة بين القوى المتخالفة أو المتباينة، كالصراع على الاختصاصات وصراع المصالح، وصراع القوانين والصراع الملح بين الدول والصراع النفسي بين نزوات المرء، ومحرمات المجتمع والصراع بين الأنا واللاأنا، وبين الأنا والأنا العليا، وبين الشعور واللاشعور، وبين العقل والقلب، وبين الحب والواجب أو القانون، وصراع الإقدام والإحجام".[2] أي أن الصراع يوجد في الحيات

1- باتريس بافي، معجم المسرح، تر: ميشال ف. خطار، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط1، 2015، ص141.

2- عبد المنعم الحفنى، المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، مكتبة مدبولي، القاهرة، مصر، ط3، 2000، ص464-465.

في كل المستويات والاختصاصات؛ سواء صراع المصالح أو الصراع بين الدول أو الصراع مع النفس بين رغبات المرء والمحرمات، أو الصراع بين القلب والعقل...

والصراع هو "مظهر من مظاهر التفاعل الاجتماعي، وهو حتمية مرتبطة بالوجود الإنساني، وهو عملية اجتماعية أو موقف يحاول فيه اثنان أو أكثر من الأفراد والجماعات أن يحقق أهدافه لصالحه، ومنع الآخرين من تحقيق ذلك، ولو اقتصر الأمر القضاء عليه وتحطيمه أو إيذائه. أو أنه تصادم الإرادات والقوى بين خصمين أو أكثر، حيث يكون هدف كل خصم في هذا التصادم هو تحطيم الآخر كلياتاً أو جزئيا، بحيث تسود إرادته على إرادة الخصم".[1] من خلال هذا التعريف نخلص إلى أن الصراع هو تلك النزاعات بين أفراد المجتمع الواحد، أو بين مجتمع ومجتمع آخر، يسعى كل طرف فيه إلى إثبات وجوده على حساب الطرف الآخر، وإن كان قد سبب له الأذى.

والصراع أدبيا نجده في "**معجم مصطلحات الأدب**" لـ(مجدي وهبة)، حيث يرى أن الصراع هو "التصادم بين الشخصيات أو النزاعات الذي يؤدي إلى الحدث في المسرحية أو القصة، وقد يكون هذا التصادم داخلياً في نفس أحد الشخصيات، أو بين إحدى الشخصيات وقوى خارجية كالقدر أو البيئة، أو بين شخصيتين تحاول كل منهما أن تفرض إرادتها على الأخرى"[2]، فمجدي وهبة يرى أن الصراع هو التصادم بين الشخصيات في القصة أو المسرحية، وقسمه بدوره إلى ثلاثة أنواع هي: شخصية ضد نفسها وهو ما أطلق عليه اسم الصراع الداخلي، وشخصية ضد العوامل الخارجية المؤثرة وهو ما يعرف بالصراع الخارجي، كما أضاف نوعاً آخر وهو تصادم شخصية ضد شخصية أخرى لاختلافهما في الآراء أو الأهداف.

1- الزبير بن عون، تحليل سوسيولوجي للصراع في الهيئات المحلية المنتخبة "دراسة حالة المجالس الشعبية المحلية المنتخبة بولاية الأغواط"، مذكرة ماجستير فيعلم الاجتماع، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم العلوم الاجتماعية، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، 2001، ص 15.

2- مجدي وهبة، كامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والآدب، مكتبة لبنان، ط2، بيروت، لبنان، 1984، ص 224.

أما (إبراهيم فتحي) في معجمه "**المصطلحات الأدبية**" أيضا، فيرى أن الصراع: "يسمى تضاد الأشخاص أو القوى الذي يعتمد عليه الفعل في الدراما والقصة صراعاً، والصراع الدرامي هو الصراع الذي ينمو من تفاعل قوى متعارضة (أفكار، مصالح وإرادات) في حبكة، ويمكن القول إن الصراع هو المادة التي تُبنى منها الحبكة"[1]، لقد ربط إبراهيم فتحي الصراع بالفعل الدرامي، وهو يتشكل أساساً بوجودِ قوى متضاربة الآراء والمصالح، فالصراع هو لُب الحبكة.

والصراع "عادة ما يشير إلى حالة أو وضع تقوم فيه جماعة من البشر بالاشتباك في نوع من المعارضة الواعية مع جماعة أخرى أو أكثر من جماعة، على أساس أن الجماعات المناوئة تبدو أنها تسعى إلى أهداف لا تقبلها الجماعة الأخرى، فالصراع هو نوع من التعامل حول قيم ودعاوى بشأن موارد وسلطة أي إن الصراع Conflict ينطبق على التفاعل الذي يحدث بين البشر وبعضهم البعض".[2] بمعنى أن الصراع حالة اجتماعية يقوم بها الفرد أو الجماعة من أجل الدفاع عن القيم أو أهدافهم التي لا تقبلها جماعة أخرى.

"والصراع في الأصل نزاع بين شخصين يحاول كل منهما أن يتغلب على الأخر بقوته المادية، كالصراع بين الأبطال الرياضيين، أو الصراع بين الدول في الحرب. كما يطلق الصراع مجازا على النزاع بين قوتين معنويتين تحاول كل منهما أن تحل محل الأخرى كالصراع بين رغبتين، أو نزعتين أو مبدأين، أو وسيلتين، أو هدفين".[3] فالصراع يكون بين جانبين متعارضين إما بين أبطال رياضيين أو صراع بين الدول في الحرب، وقد يكون الصراع بين قوتين معنويتين متمثلة في رغبتين متضادتين أو هدفين لا يتقبل أحدهما الأخر.

1- إبراهيم فتحي، معجم المصطلحات الأدبية، المؤسسة العربية للناشرين المتحدين، صفاقص، تونس، ط1، 1988، ص222.

2- الأزهر ضيف، "جميلة زيدان، نقد نظرية الصراع وإسقاطها على الواقع العربي"، مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية جامعة حمة لخضر، الوادي، ع20، ديسمبر 2016، ص189.

3- جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، لبنان، بيروت، د.ط، 1982، م1، ص725.

و"الصراع ظاهرة اجتماعية تتضمن حالة من الضغط النفسي أو عدم الارتياح الناتج عن عدم الاتفاق بين رغبتين أو أكثر من رغبة أو قد يكون تعارضا بين إرادتين أو أكثر، أما المفهوم الشامل للصراع فهو حالة يكون سببها التعارض الحقيقي أو التخيلي للمصالح والقيم والاحتياجات، وقد يكون الصراع داخليا (في نفس الشخص) أو صراعا خارجيا (بين شخصين أو أكثر)، فمفهوم الصراع يفسر العديد من جوانب الحياة الاجتماعية مثل التعارض في المصالح والاختلاف الاجتماعي والحروب بين الاشخاص أو المنظمات أو الجماعات، ومن الناحية السياسية يشير إلى الثورات أو الحروب أو النضالات والتي يستخدم بها القوة مثل الصراع المسلح".[1] فالصراع هو نزاع واختلاف وتضارب في الآراء والمصالح والمعتقدات، وقد يكون بين الإنسان ونفسه، أو بين شخص وآخر، أو بين مجموعتين أو أكثر أو بين دولتين أو أكثر، ومن هنا يتبين لنا نوعين من الصراع: صراع داخلي (بين العقل والضمير)، وصراع خارجي (بين الإنسان وبيئته أو مجتمعه).

وبناءً على ما سبق نستطيع تعريف الصراع بأنه مواجهة بين طرفين اثنين أو أكثر مختلفين، أو بين الإنسان ونفسه، بهدف الوصول إلى الطلب المنشود قائم على مبدأ المعارضة والخصومة. وبتعدد تعريفات الصراع فإنه يبقى الظاهرة الأكثر انتشارا في المجتمع كونه رابطاً بين العلاقات المتوترة والمبنية على التناقض.

ثانيا: بعض المفاهيم المرتبطة بالصراع وتتداخل معه:

يرتبط مفهوم الصراع بالعديد من المفاهيم المتشابهة كالتنافس والنزاع والاختلاف إذ إنه في الكثير من الأحيان يحصل خلط بينها وبين الصراع، فتستعمل هذه المفاهيم على أنها تدل على الصراع، إلا أنها تتسم بوجه عام بتواضع مفهومها الصراعي مقارنة بمفهوم الصراع ودلالته الفعلية.

1- وهيبة دالع، "التحول من الصراع الإيديولوجي إلى الصراع الحضاري: الخلفيات والابعاد"، مجلة الأستاذ الباحث للدراسات القانونية والسياسية، العدد01، المجلد05، جامعة الجزائر3، 2020، ص685.

1) التنافس:

هناك من يخلط بين التنافس والصراع ويعدهما مترادفين، "في حين أن الصراع موجه نحو طرف آخر، وهو يتضمن أفعال ومحاولات لإعاقة الطرف الآخر بينما المنافسة تسعى لتحقيق هدف دون التدخل في شؤون الطرف الثاني، كالاستجابات، والتنافس على السلطة دون إعاقة أهدافه ونشاطاته، ويمكن أن تؤدي المنافسة إلى الصراع وذلك عندما تكون المنافسة غير شريفة، او تقترن بالوشاية بالطرف الأخر لدى الرئيس، أو تشويه الحقائق أو بث الشائعات ضد المنافس الأخر ونشرها".[1] فالتنافس شكل من أشكال الصراع لكنه أقل حدة.

2) النزاع:

يعرف النزاع في دوائر المصادر اللغوية، بأنه إعطاء أسباب أو حقائق لتأييد أو معارضة شيء ما، أو أنه المناقشة، والمجادلة، أو السجال حول شيء ما أو بخصوصه ومن الشائع جدا في المعاجم اللغوية أن النزاع والصراع لهما نفس المعنى في حين أنه عند مقارنة هذين المصطلحين تجد: الأول يشير إلى درجة أقل حدة وأقل شمولا في الاختلافات عن الثاني، وأنه قد يمكن احتواؤه والسيطرة عليه من وجود تعارض في القيم أو المصالح بحيث تشعر معه أطراف الصراع أن أهدافهما غير متوافقة من جانب، كما أن كلا من أطراف الصراع لا يكون فقط متورطا بصورة أو بأخرى في الموقف الصراعي، ولكنه أيضا مهتما باستثمار هذا الموقف الصراعي من خلال التصعيد.[2] وبهذا يكون الصراع أعلى درجة من النزاع فهو النزاع في مرحلة متطورة، ومنه فعلاقة النزاع بالصراع هي إمكانية تحوله إلى صراع.

1- الزبير بن عون، تحليل سوسيولوجي للصراع في الهيئات المحلية المنتخبة "دراسة حالة المجالس الشعبية المحلية المنتخبة بولاية الأغواط"، ص147. نقلا عن: سلامة عبد العظيم حسن، طه عبد العظيم حسن، استراتيجيات إدارة الصراع المدرسي، دار الفكر، الأردن، 2007 ص23 .

2- ينظر منير محمود بدوي، "مفهوم الصراع في الأصول النظرية الأسباب والأنواع"، مجلة دراسات مستقبلية، العدد3، جويلية 1997، ص43.

3) الاختلاف:

إن الاختلاف هو ملكة تولد مع الإنسان سواء في شكله أو فكره أو غيرها من الأشياء التي تحكمه، وهذا الاختلاف يشير إلى الطبيعة البشرية بين الناس من حيث التشكيلة الفيزيولوجية والنفسية والاجتماعية ومن هنا ينظر إلى الاختلاف كأمر من أمور الحياة العادية، إن لم ينظر إليه باعتباره من الأشياء التي تتسم بنكهة ومذاقٍ خاص للحياة يضفي عليها قدرا من الحيوية والفاعلية لم يكن ليتحقق فيما لو تماثل الأفراد في كل شيء بينهم. ومن هنا فالاختلاف بذاته ليس سببا للصراع.[1] فالاختلاف ميزة تميز الإنسان عن غير، فهو يعطي للحياة مذاقاً خاصاً ويضفي عليها قدرا من الحيوية لم تكن ستتواجد لو كان فيها تماثل بين الناس، والاختلاف ليس دافعا من دوافع الصراع.

ثالثا: أسباب الصراع:

نرى أن من بين الأسباب التّي تصل بنا إلى الصراع كثيرة، فهي تتعدد حسب الموقف الذي يكون فيه الصراع، فقد يكون الصراع نفسيّاً أو ثقافيًا أو سياسيًا أو غيرها من الصراعات، وتتعدد أشكال الصراع بتعدد أسبابه.

1-السبب السياسي:

من أسباب الصراع أو السبب الرئيس في الصراع هو السياسة، "فالعناصر السياسية تصبح المدرج الرئيسي كسبب للصراع بين الناس. هناك أفراد يملكون القوة ولديهم القدرة على اتخاذ القرارات الهامة، وعادة ما يكون هناك تنافس بين صناع القرار المهيمنين على السلطة وبين أفراد المجتمع الذين ليس لهم سلطة حقيقية في النظام السياسي".[2] بمعنى أن من أسباب الصراع هو العامل السياسي أي إن الفرد الذي يمتلك السلطة والنفوذ يفرض

1- ينظر منير محمود بدوي، "مفهوم الصراع في الأصول النظرية الأسباب والأنواع"، ص43.

2- الأزهر ضيف، جميلة زيدان، "نقد نظرية الصراع وإسقاطها على الواقع العربي"، ص192.

سيطرته على الفرد الضعيف، وبهذا ينتج عنه صراع بين من يمتلكون السلطة أو بين السلطة والمجتمع.

2-السبب الاقتصادي:

يمكن أن تحدث النزاعات أيضا لمن لديهم خلفية من التنافس الاقتصادي، بالإضافة إلى "اختلاف المصالح الاقتصادية بين الدول يؤدي إلى التنافس والصراع بين المجتمعات وتظهر الانقسامات بين الدول الغنية والدول الفقيرة".[1] فالاقتصاد أيضا من مسببات الصراع فقد يكون الصراع في دولة واحدة أي بين رؤساء الأعمال فيما بينهم أو بينهم وبين المجتمع الفقير، وقد يكون الصراع بين الدول الغنية والدول الفقيرة بسبب اختلاف المصالح.

3-السبب الديني:

ومن أساب الصراع أيضا هو الدين الذي يبدو "باعتباره أحد عوامل الصراع للوهلة الأولى مفارقة للغاية. فمن ناحية ينظر إلى الدين على أنه مصدر الأخلاق والقيم، بينما يعتبر من جهة أخرى مصدرا للصراع. ودلائل كثيرة على نشوب الصراع في المجتمع نشأة عن البشر، بشكل أوضح ينشأ الصراع من الأنشطة البشرية".[2] "فجهل بعض التفسيرات الدينية بالثقافات السائدة يدفعهم إلى التنافس، إذ يحاول كل فريق فرض معتقداته الدينية على الآخرين، هذا التعصب يدفع بالأفراد إلى الدخول في حروب مع الآخرين".[3]

نلاحظ من خلال هذه الأسباب أنه ليس من السهل عد أو حصر أسباب الصراع لأنها متغيرة وغير ثابتة، كما أنها تختلف باختلاف نوع الصراع والمكان والزمان ومن مجتمع إلى لآخر، فأسباب الصراع مثلا تختلف في البلدان المتطورة عن مقابلها الأقل منها تطورا.

1- الأزهر ضيف، جميلة زيدان، "نقد نظرية الصراع وإسقاطها على الواقع العربي"، ص192.

2- ميليا أرياني، دوافع الصراع السياسي في رواية "هاتف من الأندلس" لعلي الجارم، رسالة لنيل شهادة (s.hum)، في اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الرانيري الإسلامية الحكومية، دار السلام بند أتشة، 2020، ص15.

3- الأزهر ضيف، جميلة زيدان، "نقد نظرية الصراع وإسقاطها على الواقع العربي"، ص192.

رابعا: الصراع في الرواية العربية:

مما لا شك في أن الصراع ظاهرة قديمة قدم الإنسان، "حيث تمثل صفة ثابتة فيه، إذ لم يخل عصر من العصور من مظاهر الصراع بمستوياته الكثيرة، وأبعاده المتشعبة، والأدب كونه خطابا تمثيليا وتعبيرا عن خلجات الإنسانية، فمن اليسير إثبات ارتباطه بالصراع حيث يشكل الأدب فضاء للصراع وأداة له عندما يتم تفعيله لصالح طرف ضد طرف في شبكة تعالقات اجتماعية وايديولوجية غاية في التعقيد".[1] فالصراع ظهر مع ظهور وظل يتابعه، وسيبقى على ما هو عليه إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فهو يمثل صفة ثابتة في الإنسان. بما أن الأدب يعبر عن مشاعر الإنسان واحاسيسه، فمن الطبيعي أن يرتبط الصراع بالأدب إذ يشكل الأدب فضاء للصراع وأداة له.

وبصيغة أخرى؛ "إن الصراع في العالم الواقعي يخترق الأدب كذلك. فالأدب مرآة للواقع، وفيه تنعكس الظاهرة الصراعية بكل زخمها بفضل خاصيته التمثيلية، هذا من جهة، ومن جهة أخرى، فالأدب امتداد للواقع وجزء منه، حيث يشكل ظاهرة اجتماعية تاريخية إلى جانب كونه فنا، ومن هذه الزاوية، يكون الأدب نفسه عنصرا فاعلا ضمن ظاهرة صراعية أشمل".[2] إذا كان الأدب مرآة للواقع فإن الصراع هو الواقع، وبذلك أصبح الصراع يسيطر على الأدب لما في المجتمعات من صراعات متغلغلة في كيانها.

وقبل البحث عن الصراع في الرواية العربية وجب التطرق إلى المسرح الذي يأتي في المرتبة الأولى في الأشكال الأدبية من حيث اعتماده على الصراع كعنصر فني لتطوير الأحداث ودفعها إلى الأمام.

فالصراع في المسرحية يمثل "العمود الفقري لها وهو البذرة الأولى لأي شكل درامي جيد وموفق. ويظهر الصراع عادة من الخلافات التي تنشأ بين الشخصيات في الدراما.

1- سامية إدريس، "صور الصراع في رواية "ص" لزرياب بوكفة" – قراءة في المضمون، مجلة الخطاب، المجلد 13، ع1، جامعة عبد الرحمن ميرة، بجاية، ص135.

2- المرجع نفسه، ص135.

كما ينشأ الصراع أحيانا عند الشخصية الواحدة، بين ما تتصرف به من أحداث وبين الوازع الداخلي لها، أو لنقُل الضمير مجازا أحياناً، وأحياناً أخرى عندما تتعارض الشخصية مع تصرفاتها بالتضاد".[1] أي إن الصراع في المسرح يكون إما خارجيا بين الشخصيات أو داخليا بينها وبين ضميرها أو تصرفاتها.

ويعتقد الفرنسي (فرديناند برونتير) أن "الصراع هو لب الدراما وجوهرها، وأن القانون العام للمسرح يتحدد بفعل الإرادة الواعية بذاتها، بل وتتمايز الأنواع الدرامية عن بعضها حسب طبيعة العوائق التي تعترض هذه الإرادة أي طبيعة الصراع في المأساة تختلف عن طبيعته في الملهاة أو الهزلية." [2] أي أن الصراع يختلف حسب طبيعة الصراع والعوائق التي تعترضه.

"والمسرحية الجيدة طبقاً لرأي (برونتير) تقوم على تجسيد صراع ناتج عن نضال لإرادة بشرية واعية، ضد إرادة أخرى متكافئة وواعية بدورها، ما لم يكن الصراع داخليا فيتغير بذلك شكله وقيمته ولأن مناضلة الإرادات الواعية تتسبب عن اصطدام رغبات ومطالب يجد الإنسان في تحقيقها، فإنه يمكن وصفه بأنه هادف. وقد يكون طرف الصراع مع الشخصية المسرحية، تحديات طبيعية أو بشرية أو اجتماعية أو داخلية ذاتية أو غيبية كالقدر والآلهة، ولا شك أن الصراع الدرامي من عوامل تماسك البنيان المسرحي، وتحريك الأحداث وإثارة تشويق المتفرج".[3] فالمسرحية الجيدة هي التي تجسد الصراع الهادف والذي يكون مع الشخصية المسرحية حين تواجه تحديات طبيعية أو بشرية أو حتى غيبة كالقدر والآلهة، فالصراع هو المحرك الأساسي للأحداث.

1- كمال الدين عيد، أعلام ومصطلحات المسرح الأوروبي، مر: إبراهيم حماده، دار الوفاء لدينا الطباعة والنشر، الإسكندرية، مصر، د.ط، 2005، ص406.

2- عادل شداد، التوظيف الدرامي لأسطورة إيزيس وأوزوريس في المسرح المصري المعاصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، د.ط، 2025، ص96.

3- عادل شداد، التوظيف الدرامي لأسطورة إيزيس وأوزوريس في المسرح المصري المعاصر، ص96.

"فالمأساة اليونانية اهتمت كثيرا بالصراع الذي تقوم عليه الحكاية، والذي يدور بين البطل باعتباره القوة الرئيسية، وبين الأعداء أو المعوقات الطبيعية والاجتماعية باعتباره القوة المضادة. وقد كان بطل المأساة اليونانية يتحرك في إطار الصراع الغيبي وجبريته حين يتصارع الإنسان مع الآلهة صراعا غير متكافئ ينتهي دائما بسحق الفرد والقضاء عليه".[1] فالصراع في المسرح بدأ مع اهتمام المأساة اليونانية بالصراع وخاصة صراع البطل مع القوى الخارقة والمعوقات الطبيعية أو مع الآلهة.

فالصراع في المسرح اليوناني، "كان قائما بين الإنسان والآلهة أي كالقوى الخارجية كالقضاء والقدر مثلا، ومع تطور المسرح إلى عصر النهضة "عصر شكسبير" رائد الدراما الرومانسية، انتقل الصراع إلى داخل النفس البشرية، وأصبح يحلل دوافع الإنسان بسبب قصور في ذاته أو عجز في قدراته، وليس بسبب الآلهة".[2] فالصراع في المسرح اليوناني بدأ يتطور وتظهر أشكال صراعات أخرى حتى انتقل في عصر النهضة مع (شكسبير) إلى داخل النفس البشرية.

"أما عن القرنين السابع عشر والثامن عشر، فقد رفضوا الصراع الذي جسدته التراجيديا الإغريقية ونقلوه من خارج النفس البشرية إلى داخلها فأصبح صراعاً داخلياً يجري في باطن الإنسان كالصراع بين العقل والعاطفة، الحب والواجب... وغيرها، وإذا ما انتقلنا إلى القرن التاسع عشر عصر الدراما المعاصرة (الواقعية)، فقد تغير الصراع وأصبح حيا بين أناس آدميين وخاصة مسرح (إبسن) و(برنادشو)، صراع تحكمه العادات والتقاليد ومحوره المجتمع وقضاياه المختلفة، وهذا هدف الدراما المعاصرة، فهي تعالج مشكلة الإنسان العادي باعتباره الركيزة الأساسية للمجتمع وقضاياه المختلفة".[3] فالمسرح كان بمثابة انطلاقة لعنصر

1- أحمد ميساوي، أنواع الصراع في روايات نجيب الكيلاني، رسالة لنيل درجة الماجستير، (منشورة)، معهد اللغة والأدب العربي، جامعة تلمسان، 1993-1994، ص25.

2- جبار نورة، أليات الصراع الدرامي في النص المسرحي الجزائري -دراسة تطبيقية لنماذج مسرحية جزائرية -، رسالة لنيل شهادة ماجستير، (منشورة)، قسم الفنون الدرامية، كلية الآداب والفنون، جامعة أحمد بن بلة 1، وهران، 2015-2016، ص42.

3- المرجع نفسه، ص42.

الصراع، فهو يمثل العمود الفقري للمسرحية وجوهرها الأساسي، لكن طرأت على الصراع عدة تغيرات عبر العصور الدرامية المختلفة، حيث كان في المسرح اليوناني خارجيا يجري بين الإنسان والمعوقات الطبيعية والقوى الغيبية كالآلهة والملوك، وبعد ذلك انتقل إلى صراع داخلي يجري بين العاطفة والعقل، وتأتي الرومانسية التي كان قائدها (شكسبير) وأصبح الصراع مصدره الذات أو العاطفة ثم عصر الواقعية الذي أصبح الصراع فيه يجري في المجتمع بين أناس عاديين ولم يعتمدوا على الأساطير، لأنها تعالج مشكلات الإنسان وقضاياه المختلفة.

"وبامتداد الصراع واستمراريته برزت تلك الأهمية التي يتمتع بها في الحياة وفي الأعمال الأدبية حتى أصبح شرطا من شروط الشخصية الناجحة في الرواية".[1]

نجد الصراع حاضراً داخل الرواية بشكل جلي كونها تصف الواقع وتتغلغل فيه، فالروائي يكتب عن كل ما يدور حوله من حقائق تحصل داخل المجتمع منها الصراع الذي نجده في كل مكان، سواء في الروايات القديمة التي تتكلم عن المجتمع قديما وصراعه مع الملوك والقبائل، أو الرواية الحديثة التي تتناول المجتمع الحديث والمشاكل التي يعيش فيها، مثلا صراع داخل الأسرة أو صراع الفرد مع المشاكل والعراقيل العديدة التي تواجهه من سكن وعمل...

فقد اهتمت الرواية العربية، في بدايتها بتجسيد صراع الحضارات، أو الصراع بين الأنا والآخر، ومن الروايات الرائدة التي عالجت هذا الموضوع رواية "أديب" 1935 لطه حسين، رواية "عصفور من الشرق" 1938 لتوفيق الحكيم، رواية "قنديل أم هاشم" 1944 لسهيل إدريس.[2]

1- أحمد ميساوي، أنواع الصراع في روايات نجيب الكيلاني، ص26.

2- ينظر سامية إدريس، "الصراع الحضاري وكتابة التاريخ الراهن في رواية "القاهرة الصغيرة" لعمارة لخوص"، مجلة التأويل وتحليل الخطاب، المجلد الثاني، العدد 2، أكتوبر 2021، ص83.

وبعد ذلك بدأ الكتاب العرب في تناول مثل هذه القضايا في أعمالهم الروائية وظهرت العديد من الروايات التي تناولت الصراع الحضاري بين الشرق والغرب من خلال تلك الأعمال الروائية وانتشرت هذه الروايات بكثرة في العالم العربي فظهرت "الحي اللاتيني" لسهيل إدريس في لبنان، و"موسم الهجرة إلى الشمال" للطيب صالح في السودان، و"الربيع والخريف" لحنا مينة في سوريا، و"بدوي في أوروبا" لجمعة حداد في الأردن، و"ما لا تذروه الرياح" لعرعار محمد العالي في الجزائر، و"المرأة والوردة" لمحمد زفزاف و"الغربة واليتيم" لعبد الله العروي في المغرب.[1] فنجد أن الصراع قد احتل مكانة كبيرة في الرواية العربية وخاصة الصراع الحضاري بين الشرق والغرب، الذي تناوله جل الكتاب من مختلف الجنسيات.

"كما شغلت أزمة الصراع بين العلم والدين نصيبا كبيرا في إبداع الروائيين المصريين ويعد نجيب محفوظ من أبرز الكتاب الذين ظهرت هذه الجدلية في رواياتهم؛ فأبطاله الذين التقينا بهم في أعمال عديدة قد وقعوا تحت تأثير الصدمة الحضارية التي أصابت المثقف المصري في تلك الفترة من جراء التقائه بثقافة الغرب ومذاهبه الفكرية والسياسية (...)، فمثلا في الجزء الثاني من الثلاثية "قصر الشوق" أن جيل الأبناء في صراع مع جيل الآباء، حيث تثور ثائرة الأب (أحمد عبد الجواد) على ابنه (كمال)؛ وهو مثقف حائر مر بأزمة دينية حادة إثر قراءته لدارون ونظريته، واصطدامه بالفلسفة الغربية".[2] يعد نجيب محفوظ من الروائيين الذين جسدوا الصراع في رواياتهم إذ نجد أن معظم أبطاله في أعماله العديدة قد تأثروا بالصراع سواء صراع جيل الأبناء مع جيل الآباء.

ومن الكتاب الذين جسدوا الصراع في رواياتهم، نجد الكاتب (نجيب الكيلاني) الذي أبدع في تجسيد الصراع في رواياته، فقصة (نور الله) هي تصوير للصراع الرهيب الذي

1- ينظر حاتم زيدان، العيد جلولي، "تمثلات الصراع الحضاري في رواية سيرابا لـ: محمد سعدون"، جسور المعرفة، المجلد 7، عدد1، مارس 2021، ص412.

2- ورد محمدي مكاوي عزب، سحر حسين شريف، الصراع الفكري في السرد العربي المعاصر دراسات في الرؤية والأداة، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، مصر، الإسكندرية، ط1، 2018، ص21.

خاضته الدعوة الإسلامية في فجرها، ضد أعدائها قد يختلفون في كل شيء، لكنهم يتفقون على حربها والكيد لها. كما صورت رواية (رمضان حبيبي) إحدى المعارك التي وقعت بين العرب والكيان الصهيوني عبر الصراع المستمر بين العرب المسلمين، وبين اليهود المعتدين. وفي رواية (الظل الأسود) كان الصراع بين امبراطور الحبشة المسلم (إياسو) ورجال الكنيسة.[1]

وتمثل "قصة (الطريق الطويل) صراع الإنسان مع الفقر، وبين الآثار التي تنتج عنه حينما يحل في مجتمع من المجتمعات، حيث كانت أسرة (عبد الدايم) تفقد يوما بعد يوم شيئا مهما، من وسائل العيش وظل رب الأسرة يستدين بالربا حتى أصبح (مرسي أبو عفر) سيد الموقف، وأخذ لسداد دينه. ومثله في ذلك (الشيخ حافظ) الذي اضطر بسبب الفقر إلى إرسال ابنته لتعمل خادمة في منزل أحد أثرياء الإسكندرية".[2]

كما صور "الكيلاني" أيضا الصراع مع النفس، من خلال شخصية "وحشي" في رواية (قاتل حمزة)، والذي "يعيش تجربة حية مؤثرة ويسعى سعيا حثيثا لينال الحرية، التي هي أسمى غاياته لقد كانت هنالك مظاهر خادعة، توهم بأنها هيا الحرية وقد انخدع بها بطل القصة كما انخدع بها كثير من الناس قبله وبعده. ولأنه عبد رقيق فهو يتألم من ذل العبودية وهوانها، وتحت وطأة تلك الأحوال القاسية كان يعتقد أن بينه وبين الحرية الحقة أن يعتقه سيده، فيغدو بعد ذلك إنسانا حرا كريما مثل سادات مكة الذين يحظون بالإعزاز والتعظيم..."[3]

فالرواية العربية صورت مختلف أنواع صراعات الحياة الاجتماعية، وذلك لأن "الصراع من أهم العناصر المكونة لها على الخصوص، فهو الذي يمنحها الحياة ويبعث

1- ينظر عبد الله بن صالح العريني، الاتجاه الإسلامي في أعمال نجيب الكيلاني القصصية، دار كنوز اشبيليا، السعودية، الرياض، ط2، 2005، ص238.

2- المرجع نفسه، ص239.

3- المرجع نفسه، ص244،

فيها الحركة، ويدفع إلى تطوير الأحداث، ونموها، ويحدث التفاعل بين شخصياتها."[1] سواء كان هذا الصراع بين مكونات الشخصية ذاتها، أو بينها وبين شخصيات أخرى مكونة للرواية وكلما تباينت الشخصيات فيما بينها ازداد الصراع.

وهكذا نصل إلى أن الرواية العربية قد تناولت العديد من المسائل الصراعية عبرت عن موضوعات مختلفة، سواء حضارية كانت، أو اجتماعية، أو نفسية، أو دينية...

وفي الأخير يمكننا القول إن حضور الصراع في الحياة، قديم قدم الوجود الإنساني كما أن الظهور الأول للصراع في الأدب والفنون الأدبية، كان في المسرح وبعدها بدأ يتغير حتى وصل إلى الرواية. وللصراع عدة أنواع أيضا سنتطرق لها في الفصل القادم.

1- عبد الله بن صالح العريني، الاتجاه الإسلامي في أعمال نجيب الكيلاني القصصية، ص238.

الفصل الأول:

الصراع وتمثلاته في رواية "كريسماس في مكة"

- أولا: الصراع النفسي.
- ثانيا: الصراع الديني.
- ثالثا: صراع الهوية.
- رابعا: صراع تاريخي سياسي.

للصراع أنواع كثيرة ومتعددة وذلك بحكم اختلاف الأفراد والمجتمعات والثقافات وغيرها من العوامل المؤدية له، وباعتبار الصراع من أهم العناصر المكونة للرواية، فهو يقع في مستويات عديدة وبأشكال مختلفة، فقد يكون صراعا سياسياً، أو اجتماعياً، أو نفسياً أو دينياً...، والرواية العربية باعتبارها فن الآخر حاولت منذ البواكير الأولى أن تتصدى لهذا الصراع.

فإلى جانب الروايات التي سبق وذكرناها في المدخل ممن قامت حبكتها على موضوع الصراع، رواية "كريسماس في مكة" لأحمد خيري العمري، فهذه الرواية تعيش معها صراعات شتى، عن الطائفية، والزواج، والصراع النفسي الذي يعيشه أغلب المسلمين في بلاد الغرب، وازدواج الهوية وغيرها من الصراعات التي سنتطرق لها في الفصل.

أولا: الصراع النفسي:

منذ ظهور الإنسان على هذه الأرض وهو يعيش سلسلة من الصراعات الاجتماعية والثقافية والنفسية. وما يهمنا هو هذا الأخير. إذ "يعد الصراع النفسي ظاهرة نفسية انفعالية اجتماعية تحدث عندما تواجه الفرد في حياته مواقف تتسم بالاضطراب النفسي مما تجعله في حيرة من أمره في كيفية تجاوز العقبات، ويحدث الصراع عندما يواجه الفرد موقفين متناقضين وهذا يتطلب منه أن يختار أحدهما حتى يتوقف الصراع ويشعر بقدر كاف من الصحة النفسية".[1]

يرى محمد الخالدي أن: "الصراع النفسي هو عبارة عن حالة تصادم الدوافع والحوافز وفيها يكون للفرد اختياران بين هدفين أو موقفين متكافئين بالقوة ومتناقضين بالاتجاه فالسمة الغالبة في الصراع النفسي هو أن الفرد الذي يتوجب عليه الاختيار يشق عليه أن يحسم الصراع لصالحه أو لصالح أي الاختيارين. وفي الصراع العادي لا يشعر الفرد بالألم

1- عبد الكريم سعيد المدهون، "الصراع النفسي وعلاقته ببعض المتغيرات لدى عينة من طلبة كليات جامعة فلسطين بغزة"، مجلة دراسات وأبحاث المجلة العربية في العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 27، جوان 2017، السنة التاسعة، ص3.

أو التردد وهو يختار بل تتم المفاضلة تلقائيا".[1] يؤكد الأديب الخالدي بأن الصراع النفسي هو تعارض دافعين بنفس القوة يتنافسان لنيل الإشباع وهو ما يولد داخل الفرد الحيرة والألم والقلق وهو عكس الصراع العادي الذي يتم فيه الاختيار تلقائيا.

ويمكننا الحديث عن الصراع النفسي حين تتجابه عند شخص ما متطلبات داخلية متعارضة، "فقد يحدث الصراع نتيجة تضارب بين أوامر الواجب (ضمير) وميول النفس (الخسيسة) التي تتناقض مع أوامر الواجب، ويحدث أحيانا حين يريد الشخص إشباع حاجتين في وقت واحد، وأحيانا أخرى عندما يعترض عائق مادي أو اجتماعي طريق إشباع حاجة أو تحقيق غاية."[2] أي أن الصراع النفسي يحدث عندما تتضارب نزوات المرء وميولاته النفسية مع أوامر الجواب أو الضمير، أو يكون هناك عائق مادي أو اجتماعي يمنعه من تحقيق غايته.

ويصنف القريطي الصراع النفسي إلى نوعين: "أولهما صراع داخل الفرد الذي يعاني من الصراع كما هو الحال في تذبذب سلوك المراهق بين الالتزام بالقيم الدينية والخلقية من جانب وإلحاح رغباته بالنوع الآخر بينما الصراع الخارجي يكمن في خارج الفرد الذي يعاني من الصراع كما هو الحال في حالة التردد في اتخاذ قرار بشأن الالتحاق بإحدى كليتين أو وظيفتين ويكون الصراع بين اختيارين أو بديلين أحدهما خارجي كالرغبة في السباحة والآخر داخلي كالخوف من الماء".[3] بمعنى أن هناك نوعين من الصراع النفسي صراع نفسي داخلي، وصراع نفسي خارجي.

ويسمى الصراع النفسي أيضا بالصراع الداخلي أو الصراع مع الذات (النفس)، فهذا الصراع يتعلق بصراع الشخص مع نفسه إذ تتجاذبه قوتان، كقوة الحق والباطل أو قوة

1- أديب محمد الخالدي، المرجع في الصحة النفسية (نظرية جديدة)، دار وائل، عمان، الأردن، ط3، 2009.

2- خير الله عصار، مقدمة لعلم النفس الأدبي، منشورات بونة للبحوث والدراسات، الجزائر، عنابة، ط1، 2008، ص83.

3- عبد الكريم سعيد المدهون، "الصراع النفسي وعلاقته ببعض المتغيرات لدى عينة من طلبة كليات جامعة فلسطين بغزة"، ص3.

الإرادة وقوة الإعراض وغالبا ما يكون قصير المدة ومصيريا.[1] فالصراع الداخلي مرتبط بالجانب السيكولوجي للشخصية، والصراع في الرواية ينتج من خلال تحاور الشخصية مع نفسها. ويحدث هذا الصراع داخل نفسية الشخصية الروائية، أو يعني تصارع الشخصية مع ذاتها ويتعلق هذا الصراع بالحالة الذاتية، أو روح الشخص في تحدي المشكلة.

ورواية "كريسماس في مكة" غنية بالصراعات، خاصة الصراع النفسي الذي يعاني منه أغلب شخصيات الرواية، الذين دفعتهم الحياة ليغتربوا ويبتعدوا عن أوطانهم. فهي شخصيات تواجه الصراع النفسي الذي يعيشه أغلب المسلمين في بلاد الغرب لإثبات هويتهم وتاريخهم.

- **تجليات الصراع النفسي في الرواية:**

يبدأ الصراع النفسي في الرواية مع شخصية **مريم** التي فقدت والدها وهي طفلة صغيرة، وهاجرت بها أمها من العراق إلى بريطانيا، فعاشت غريبة وبعيدة عن أهل والدها، فهي تعاني من الغربة والاغتراب في بلاد الغرب رغم أنها فتاة تحمل الجنسية البريطانية لكنها تبقى من أبويين عراقيين، يتجلى ذلك في الرواية من خلال قولها: "**أنا بريطانية من أبويين عراقيين، لا أذكر شيئا عن العراق ولا أعرف غير بريطانيا**".[2]

"**أنا الوحيدة في الفصل حنطية البشرة سوداء الشعر واسمي يصرخ بأني أجنبية. عيناي الخضراوان - تقريبا - لن تغيرا كثيرا من هويتي**".[3]

وإحساس مريم بالغربة والتشتت يزداد بعدما أخبرتها أمها أنها رتبت لرحلة تجمعها بأهل والدها الذين لم تلتق بهما منذ فترة طويلة، شعورها بالقلق، والحيرة، والألم. قلقها من لقاء عمها وجدها اللذين لا تعرفهما ولم ترهما طيلة حياتها، وأن تتحمل المجاملات التي ستأتي منهما، وحيرتها في القرار الذي اتخذته أمها دون الرجوع إليها بأن تجمعها مع أهل

1- ينظر يوسف حسين حجازي، عناصر الرواية، د.د، د.ط، د.ت، (نسخة الكترونية)، ص18.

2- أحمد خيري العمري، رواية كريسماس، عصير الكتب، ط1، 2019، ص46.

3- الرواية، ص44.

والدها في رحلة كان من المفروض أنها رحلة دراسية في شكل عمرة من أجل إنجاز مشروع تخرجها. وقد ورد ذلك في: "**الآن، دون سابق إنذار، صار عليَّ أن ألتقي بجدي وعمي اللذان لا أذكرهما، وأن أتحمل مجاملات لا طعم لها، وربما قبلات وأحضان على الطريقة العراقية، وسيقولان لي بالتأكيد إنهما لا يصدقان كم كبرت، وربما بعض الدموع مع قولهما إني نسخة من أبي، وكل ذلك خلال رحلة كنت قد خططت لتكون جزءا من مشروع تخرجي الذي أفكر فيه منذ أن دخلت الجامعة**".[1]

تضيف قائلة: "**لا أذكر الكثير عنهما. لا أذكر الكثير عن بغداد أصلا. لم أكن صغيرة لدرجة أن لا أذكر شيئا عنها عندما تركناها. كان عمري سبع سنوات، وأعرف أن هناك من يذكر تفاصيل في عمر الثالثة أو الرابعة.. غالبا ما حدث لنا هناك مسح أجزاء كبيرة من ذاكرتي. الطفلة التي كنتها نسيت كل شيء كي لا تتألم في اجترار ما حدث**".[2]

فمريم لم تستسغ الأمر لأنها تحمل فكرة أخرى عن أهل والدها أو العرب بصفة عامة، بأنهم مجتمع ذكوري كاره لقيم الغرب وتحرره. ويظهر أيضا في قولها: "**كيف سأستطيع التركيز في مشروعي وأكون في حالة صفاء وتركيز ذهني وأنا في صحبة متسلطين وكارهين للمثليين؟**".[3]

من خلال المقاطع السابقة يتضح بأن شخصية مريم في صراع نفسي داخلي لأنها في حالة قلق وخوف من لقاء عمها وجدها اللذين لا تعرفهما ولم تلتق بهما طيلة حياتها، وخوفها من فشل مشروع تخرجها الذي تحلم به منذ دخولها الجامعة، وتتحول الرحلة إلى لقاء عائلي وتنسى هدف الرحلة، فهي في صراع بين أن تتقبل الرحلة أو ترفضها وضياع مشروعها، لكنها مع ذلك تشعر أنها مجبرة على قبول فكرة لم الشمل ومواجهة كل ما سيحدث في الرحلة.

1- الرواية، ص15.

2- الرواية، ص16.

3- الرواية، ص13.

كما نلمس أيضا صراعا نفسيا آخر في الرواية من خلال شخصية أخرى وهي "**ميادة**" والدة "**مريم**"، والتي عانت من الفقد والألم والحزن في ماضيها عندما كانت في بغداد، فميادة كانت امرأة ضعيفة تنهار بسهولة من أبسط الأشياء. ويظهر ذلك في قولها: "**نشأت وأنا متخوفة ومتحسسة جدا من أي نقد مهما كان بسيطا**".[1] وبعد مقتل زوجها وخروجها من بغداد ازداد إحساسها بالغربة والوحدة، لأنها أصبحت مسؤولة عن ابنتها الوحيدة، ويظهر ذلك من خلال قولها: "**يعني أنني مهما قلت لك، فلن يمكنك أن تتخيلي كيف كان الأمر في بغداد عندما قتل أبوك، وكيف كان الأمر بالنسبة لي، فجأة أصبحت وحيدة ومسؤولة عنكِ بعدما كان أبوك يفعل كل شيء**".[2]

لكن ميادة صارت قوية بالرغم مما مرت به في بغداد من مشاكل نفسية التي كانت سيطرت عليها خاصة في علاقتها بنفسها فهي في صراع نفسي مع ذاتها ولم تكن متصالحة معها. ويظهر هذا في الرواية عبر قولها: "**كنت مختلفة كثيرا عن الشخص الذي أصبحته اليوم. كنت مليئة بمشاكل في علاقتي بنفسي، مشاكل لم تكن تجعلني في حالة صلح معها أو في حالة ثقة بيها. اليوم أبدو كما لو كنت واثقة بنفسي ومتحدية، لكن ذلك ما كان إلا بسبب ما مررت به من كوارث جعلت مشاكلي مع نفسي تبدو مشاكل سخيفة لفتاة مترفة**".[3]

فالصراع النفسي عند **ميادة** يكمن في ارتباكها من أن تجتمع بماضيها الذي تركته خلفها حينما غادرت بغداد، وخوفها من أن تفتح جراح الماضي فقررت أن تسكت وتغلق الباب عليها وعلى ابنتها، لأن أي ذكرى عن الماضي كانت تزيد من ألمها. ويتجلى هذا في حوارها مع ابنتها: "**أكملت أنا: ما حدث في بغداد بقي جرحا ينزف في داخلي. موس**

1- الرواية، ص49.

2- الرواية، ص76.

3- الرواية، ص20.

عالق في بلعومي. لا أستطيع أن أخرجه. ولا أستطيع أن أبتلعه. لم يكن أمامي سوى أن أسكت عن أي شيء، أي ذكرى أتحدث عنها كانت تنكش جرحي، تحرك الموس.

ثم همست لها: لم أتعمد إخفاء شيء عنك. لكن تعمدت أن أتجنب ألمي.

سألتني: هل التأم الجرح؟ [1]

ليس تماما. سأكذب لو قلت إن الألم لم يتغير، وأن وجعي بعد كل تلك السنوات لا يزال هو هو، الجرح لم يعد ينزف، هذا صحيح، لكن الندبة التي خلفها شوهتني. غيرت مني. أصبح وجعها مختلفا.

ما الذي تغير الآن؟ لماذا مواجهة كل ما فات؟

لأن عدم المواجهة تسببت بجرح أخر، وأخشى أن يكون هذا الجرح ليس عندي فقط هذه المرة".[2] فميادة كانت في صراع نفسي بين خوفها من مواجهة الماضي وانفتاح الجرح الذي التأم بصعوبة، وخوفها على ابنتها من أن تتماهى في الغرب وتنسى جذورها التي أخفتها عنها طيلة هذه السنوات.

كما نجد شعور ميادة بالندم على ما قالته في الماضي لأهل زوجها بعد وفاة زوجها، فقد قالت أشياء حقيرة ولئيمة لا يمكن تحملها، فهي عاجزة من مواجهتهم والاعتذار لهم خصوصا بعد هذه السنوات الطويلة من الانقطاع. ويتجلى ذلك في المقطع الآتي: "**في آخر أيامي في بغداد، قلت أشياء فظيعة، أشياء لئيمة وحقيرة جدا، أشياء لم أعتذر عنها وصارت حاجزا بيني وبينهم، عندما لم أعتذر في وقتها صار من الصعب أن أعتذر لاحقا، ثم بدا أمر الاعتذار بعد أن حول سعد الإرث سخيفا جدا وانتهازيا جداً.**

قلتِ أشياء حقيرة وأنتِ منهارة وقت حادث أبي؟ من يلومك على هذا؟

1- الرواية، ص76.

2- الرواية، ص76-77.

قلتها أثناء الحادث وبعد الحادث. كررتها بطريقة بشعة جدا. لم يلمني أي أحد ولم أسمع أنهم ذكروا الأمر لأحد، لكن عليَّ أن أعيش مع ما قلته".[1] من خلال المقطع السابق نجد أن ميادة في صراع نفسي بين ما أقدمت على فعله وبين ندمها، وتمنيها الدائم للعودة بالزمن وتصويب ما قالته آنذاك، وهذا ما جعلها في قلق وحيرة.

ويتجلى الصراع النفسي أيضا في نفس الشخصية (ميادة)، وهي تتذكر ركضها بين مراكز الشرطة والمستشفيات وثلاجات الموتى بحثا عن أخيها ميثم الذي قتل لأنه شيعي، ومحاولتها لإقناع زوجها بمغادرة بغداد خوفا من أن يقتل هو أيضا لأنه سني، وتعيش وحيدة بعد أن فقدت والدها وأخاها. ويظهر ذلك في هذا المقطع:

"**بين الصفا والمروة، تذكرت ركضي بين مركز شرطة وآخر، وبين مستشفى وآخر، بين ثلاجة موتى وأخرى، بين مرقد وآخر.**

تذكرت كل تلك المكالمات الهاتفية، والاتصالات التي تبعث الأمل، وكل ذلك الانتظار لأيام سبعة بدت لي سبعة قرون".[2]

بقيت في بيت أهلي أسبوع العزاء، عندما رجعت توسلتُ بعمر أن نغادر العراق، كان كل شيء يسير إلى الهاوية، ميثم قتل لأنه شيعي، وعمر قد يقتل لأنه سني (...)

كنت قد فقدت أبي، وحيدر يعيش بعيدا منذ عقدين، والآن ميثم، أخي الأقرب لي سنا وقلبا.. لم يعد عندي غير عمر. كنت أقول ذلك وأنا أتوسل به".[3]

تعود بنا ميادة إلى ذكريات الماضي الأليم وهي في السعي بين الصفا والمروة، وبعد وفاة أخيها بشهور حدث الذي كانت خائفة منه، وهو مقتل زوجها وهي التي تكبدت عناء البحث عنه أيضا بين المستشفيات وبين الجثث المرمية على الرصيف، مثلما كانت تبحث عن أخيها لكن هذه المرة كانت جريحة ومكسورة، فجراحها لم تلتأم من فقد أخيها. نجد هذا

1- الرواية، ص105.

2- الرواية، ص155.

3- الرواية، ص157.

واضحا في الرواية من خلال: "**ذهبنا نزيح الأغطية والبطانيات عن الجثث على الرصيف. لا أصدق أن هذا يحدث لي أو لعمر. لا أصدق أني أبحث عن عمر بين الجثث على الرصيف. بكيت على جثث الرصيف تلك، وبكى سعد**".[1]

يضيف قائلا: "**اليوم، على المروة، أعوض ذلك بعد قرابة ثلاثة عشر عاما، أجد نفسي أدعو له، أواجه كل ما مر به قبل أن ينتهي في الطب العدلي، أسأل الله ألا يكون قد تعذب كثيرا، أن يكونوا قد فعلوا كل ما وجدناه في جثته بعد أن مات وليس قبل، أسأله أن يكون عوضه عن كل ذلك بمكان أفضل.**

كنت أبكي عمر من جديد كما لو أني فقدته الآن، لكن هذه المرة كنت خارج القصة تماما، لم يكن الأمر عن عذابي بفقده، أو عذابي بمواجهتي الحياة وحيدة، أو بفقد مريم لأبيها، هذه المرة كانت عن عمر فقط، عن كل ما عاناه في تلك الأيام."[2]

نلمح في المقاطع السالف ذكرها أن ميادة في صراع نفسي بين الماضي والحاضر الذي تعيشه مغتربة مع ابنتها. فهي عانت من مشاكل نفسية في الماضي وهي تلاحقها في الحاضر على شكل ألم وجراح عميقة في داخلها لا يمكن شفاؤها أبدا، وشعورها المختلط بين ألم الفقد، وألم الخوف، وألم العجز، فهي لم تستطع ومواجهة الحياة وحيدة ولم تتمكن من نسيان الماضي الأليم، وشعورها بالندم لأنها منعت ابنتها من التعرف على جذورها.

ورد الصراع النفسي أيضا في شخصية **سعد** عم مريم، الذي تعذب في ماضيه خاصة بعد مقتل أخيه عمر ووفاة أمه وابتعاد زوجته عنه بسبب عقمه، فأصبح وحيداً عاجزاً، ودخوله في حالة اكتئاب حتى اضطر إلى اللجوء إلى طبيب نفسي لكي يتعالج. ويظهر ذلك في الرواية على لسان سعد: "**بعد الذي حدث لعمر، ووفاة أمي ومغادرة**

1- الرواية، ص160.

2- الرواية، ص165.

سوسن، وجدت نفسي محاصرا بكل شيء، بفشلي وعقمي، وكل ما حدث حولي. كنت محاصرا وأتساءل: هل إلى خروج من سبيل؟" [1]

ونجده يقول: "**تكالب كل شيء، عليَّ، وأكثر الأشياء مرارة في فمي كان ذلك الشعور بالفشل الذي يخنقني حرفياً، لم أحتمل فكرة أني انتهيت لأكون رجلاً في الأربعين من العمر، دون زوجة أو ذرية أو حتى أمل بذرية، يعيش مع والده شبه المقعد في منزل مساحته 800 متر مربع في شارع الأميرات، لديه ثلاث شهادات جامعية لا يعمل بأي منها، ويعيش عالة على ريع عقارات ورثها أبوه عن جده.**

كان عليَّ أن أتصالح مع وضعي الجديد، مع الشعور المرير بالفشل، لم يكن من الممكن الاستمرار في الاعتناء بأبي ومواصلة الحياة بشكل عام وهذا الشعور يقتلني.

لجأت أولا إلى طبيب نفسي".[2] سعد هنا يسرد لنا صراعه مع ألم الفقد وشعوره بالعجز والفشل، وتحمله مسؤولية والده المقعد بعد أن كانت لديه آمال مستقبلية بأن يسافر هو وزوجته للعمل في الخارج، لكنه تفاجأ بانهيار كل شيء وبقائه وحيدا مع والده الذي تدهورت حالته وأصبح عاجزا تماما عن الاعتناء بنفسه.

ويتفاقم عذاب سعد عندما يتذكر بأنه عاجز عن الإنجاب والمشاكل التي كان يفتعلها مع أهله ومع زوجته بالخصوص، بسبب عقمه وفشله في تحقيق أحلامه، وإحساسه بأنه عالة على المجتمع وأنه لا يستطيع فعل أبسط الأشياء. ونلمس ذلك في قوله: "**كيف لشخص يحمل ((الأنا)) التي أحملها أن يواجه أنه سيبقى طيلة حياته عاجزا عن إنتاج ما يستطيع 99.9 % من ذكور العالم إنتاجه كل يوم دون تفكير في الأمر أصلاً؟ يستطيع أي مراهق جاهل أو رجل أمي أن ينتج ما لا أتمكن أنا من إنتاجه إطلاقا**".[3]

1- الرواية، ص80.

2- الرواية، ص82.

3- الرواية، ص149.

يضيف أيضا: "**حربي مع الكل شملت سوسن أيضا، كنت أتمرد على فكرة أنها قد بقيت معي شفقة عليَّ**".[1]

فالصراع النفسي الذي عند سعد يتمثل في صراعه بين الأنا المتضخمة التي يحملها والأنا الدنيا التي هو فيها، ويظهر ذلك في الرواية من خلال: "**في السعي بين الصفا والمروة، ما كان يمكن أن أهرب من هذا كله، من بنتين لم أستطع أن أنجبهما، من ذلك السعي بين أحلام عالية لم تتحقق وبين واقع مرير محبط، بين الأنا العالية المرتفعة وحقيقتها الدنيا، بين كل ما كنت أريده، وكل ما انتهيت إليه**".[2]

سعد كان يحلم أن تكون لديه ابنتان يسميهما صفا ومروة، لكنه لم يستطع إنجابهما بسبب عقمه، وهذا ما زاد من صراعه مع نفسه وشعوره بالفشل والإحباط الذي يزيد يوما بعد يوم، يتضح هذا من خلال حواره مع ميادة: "**أنا أعتذر عن كل شيء قلته يومها، وليس فقط ما قلته لخالة وعمو، قالت ميادة.**

تقصدين ما قلته لي أني عقيم وفاشل؟ وأنه كان يجب أن يأخذوني أنا بدلا عن عمر؟ لماذا تعتذرين؟ أنا عقيم وفاشل يا ميادة، وكان يجب أن يأخذوني أنا بدلاَ عنه.

قاطعتني: أرجوك سعد، لا تكرر ما أعتذر عنه.

رفعت صوتي لأسكتها: لم يمر يوم واحد يا ميادة، لم يمر ولا يوم واحد، طيلة هذه السنوات، دون أن أقول لنفسي هذا الذي تعتذرين عنه، أنا عقيم وفاشل، أنا الذي كان يجب أن يموت وليس عمر، ولم يمر يوم دون أن أستغفر الله على تفكيري بالاعتراض على قدر الله لم يمر يوم دون أن أفكر أن في عالم أكثر عدالة، كنت أنا سأموت بدلاَ عن عمر، فلا تعتذري عن شيء أفكر فيه كل يوم".[3]

1- الرواية، ص150.

2- الرواية، ص150.

3- الرواية، ص239-240.

ويظهر الصراع النفسي أيضا في حوار آخر: "**قلت لست حزيناَ على أبي. عاش حياة جيدة، وأنعم الله عليه بنعمة جعلته ينسى موت عمر أو ما حدث له. ومات ميتة يقول الحجي ثامر إنه «ينحسد» عليها.. لست حزينا عليه كثيراَ، حزين لفراقه نعم، حزين لأني لن أراه لوقت طويل على الأقل.**

قلت بصراحة إني حزين أكثر على نفسي، لم يعد لديَّ ما أفعله. أصبحت وحيداَ. وحيداَ تماما. أبكي على نفسي لأني سأعود وحيدا إلى بغداد، ولن أجده هناك لأرعاه وأحممه وأقلم أظافره.

هزت ميادة رأسها بتفهم وقالت: لا حول ولا قوة إلا بالله. أحسست أنها تفهم ما أقصد.

قال حيدر: لكن ضميرك مرتاح يا سعد، اعتنيت بأبيك بأفضل شكل ممكن، فعلت كل ما بوسعك وأكثر، لا تقلل من أهمية هذا. غيرك يعيش عمره نادما لأنه لم يفعل.

فكرت مع نفسي: هل ضميري مرتاح حقا؟ فعلت كل ما بوسعي نعم. لكن هل سيعوض ذلك عن الفترات التي كنت جاحداَ فيها. لا أعرف.

قالت لي ميادة: الحياة تستمر يا سعد وأنت تعرف ذلك، تستطيع أن تتزوج وتبدأ حياة جديدة.

ضحكت بمرارة: أتزوج؟ الآن؟ لماذا؟

قالت لي: الزواج ليس فقط للإنجاب.. الزواج رفقة يا سعد، أنت تحتاج إلى رفقة، ونس أليف.. عليك أن تفكر بهذا فعلاَ..".[1] نلاحظ من خلال هذا الحوار الذي دار بينه وبين ميادة وحيدر، ازدياد عذاب سعد بعد وفاة والده، فهو سيبقى وحيدا دون زوجة أو أخ ولا ولد يحمل اسمه أو يدفنه بعد مماته، وإحساسه بالندم لما فعله لوالده في الماضي

1- الرواية، ص 319-320.

وخوفه من أنه لم يعوض تلك الأيام التي كان فيها جاحدا، بالأيام التي اعتنى فيها بوالده عندما مرض بالزهايمر وجلس على كرسي متحرك.

يتضح لنا من خلال المقاطع السابقة أن سعداً في صراعات عديدة خاصة الصراع النفسي بسبب فشله في تحقيق الأحلام التي كان يحلم بها واصطدامه بالواقع المرير الذي حرمه من الأولاد والأهل. فشخصية سعد عانت كثيرا سواء في ماضيها أو حاضرها على الرغم من أنه كان مع والده لكن إحساسه بالوحدة والغربة لم يفارقانه ولا لحظة. وصراعه الدائم بين الأنا العالية الزائفة والأنا الدنيا الحقيقة.

كما تضمنت الرواية صراعاً نفسياً آخر واضحاً عبر شخصية **حيدر** الذي يعيش مشكال نفسية عديدة مع نفسه وعائلته، فهو يشعر بالغربة والاغتراب بعد ثلاثين عاما في بريطانيا، وإحساسه بأنه ضيع حياته كلها في أشياء لا فائدة منها، وشعوره بتأنيب الضمير يقتله كل يوم، حتى أصبح يشك في كل شيء، حيث كان يزور طبيبا نفسيا لمعالجته. نجد ذلك في المقطع الآتي: "**لم تكن ميادة تعرف أني كنت أراجع طبيبا نفسيا منذ أشهر. وأني كنت أواجه تحقيقا في المستشفى بسبب أعراض جانبية للعقاقير أثرت على أدائي في إحدى العمليات، إضافة إلى تحقيق آخر بسبب نوبة غضب انفجرت فيها على ممرضة غبية تستحق كل ما قلته لها من شتائم.**

لم تكن ميادة تعرف أني كنت أمر بأسوأ فترة في حياتي. لثلاثين عاماَ في بريطانيا لم أشعر بالغربة التي أشعر بها اليوم. لثلاثين عاماَ في بريطانيا لم أشك للحظة في صحة خياراتي، إلا الآن، أشك في كل ما مضى، وفي كل شيء فعلته في هذه العقود الثلاثة.

لثلاثين عاماَ كنت أصنع مني شخصاَ، واليوم أنظر إليه ولا أعرفه".[1]

ويظهر في مقطع آخر من الرواية صراع حيدر مع نفسه بسبب كرهه لذاته واشمئزازه منها، لدرجة أنه لم يستحمل المعالجة النفسية وأخذ يشتم فيها في داخله، حيث يقول:

1- الرواية، ص34.

"شتمتها وشتمت بينيت[1] أيضا ولكن قلت لنفسي إن عليَّ إعطاء هذا العلاج النفسي فرصة. لم أكن مؤمناَ تماما به، لكن يبدو أن عليَّ أن أجربه، العقاقير التي يصفها لي الدكتور بينيت كانت في البداية جيدة، خففت من نوبات الذعر التي كانت تنتابني، وخففت من حدة أعراض الاكتئاب وتشتت الذهن والأرق التي كنت أعاني منها، لكن، لا يزال هناك ذلك الشعور المرير في داخلي بكراهيتي لذاتي، شعور لم أتخيل أني يوما سأعرفه فضلا عن أن أعاني منه، أو أن أزور معالجة نفسية لأتحدث لها عنه".[2]

ويزداد شعور حيدر بالفشل والندم عند رؤيته لسعد وهو يساعد أباه المقعد ويعامله بحنان، فذكره هذا الموقف بوالده الذي لم يحضر جنازته وإحساسه بالندم لأنه لم يعتن به في آخر أيامه لأنه لم يكن موجوداً في بغداد آنذاك. يرد ذلك في قوله: "**سعدا هذا الدعي المتفلسف، أبو عقلين[(3)]، الذي كان يحرج شقيقه عمر بثرثرته وتطاوله على الجميع – الجميع بمن فيهم والداه – ينتهي ليكون هذا الابن البار الذي يرعى والده في شيخوخته وخرفه، غالبا سيكون معه عند وفاته، بينما أنا، عجزت حتى عن الحضور في جنازة أبي.**

ذكرني سعد بكل ما لم أفعله. لقد نجح فيما فشلت فيه فشلي الأكبر، ربما فشلي الذي قاد إلى كل ما أنا فيه الأن. هزني منظر سعد وأبيه. هذا السعد الذي كنا نتندر عليه أنجح مني بكثير".[4] فحيدر يشعر بالغيرة من سعد لأنه يعتني بوالده أما هو فقد فشل حتى في أن يحضر الجنازة وقد وصل الأمر لأن يدفع المال مقابل أن يكون مكان سعد. ونجد ذلك في قوله: "**عمرتان وهذه الثالثة يا سعد. واحدة لأمك وثانية لأخيك. وها أنت تدفع والدك على كرسي العجلة. لعلك لن تعرف أبدا كم يمكنني أن أدفع لأكون مكانك".**[5]

1- الطبيبة النفسية التي كان يرجعها حيدر.

2- الرواية، ص87.

3- تقال لمن يعتبر خفيف العقل.

4- الرواية، ص137.

5- المصدر نفسه، ص137.

وتزداد معاناة حيدر مع حمل ابنته سارة من صديقها دون زواج، وإحساسه بالعار الذي يحمله في هذا المكان الشريف وهو "مكة". ويتجلى ذلك في قوله: "**وجدت نفسي أهمس: سارة يا رب، سارة حامل من صديقها، ولا تنوي الزواج، تريد أن تنجب بلا زواج ولا عقد من أي نوع. وهو لن يسلم. لا يعتقدان أن الزواج مهم. سارة ستنجب سفاحا يا رب، أحمل عارها يا رب، أحمل وزر تربيتي لها، أحمل عاري، أحمل الثمن الباهظ الذي دفعته والذي لم يخطر في ذهني سابقا، أنت تعرف أني أتعذب، وأن ما بيدي حيلة، يا رب المحتاجين، أحتاجك.. أدفع حياتي الآن عذابا في كل لحظة.. يا رب، لا أعرف ماذا أريد بالضبط.. ساعدني فقط.. حتى التنفس أصبح شاقا.. ساعدني يا رب**".[1]

ويظهر الصراع النفسي عند حيدر في موقف آخر وهو يواجه نفسه أثناء الطواف: "**أنهيت الطواف السابع وأنا أجر نفسي جراَ، أنهكني الدعاء، أنهكتني مواجهة نفسي بكل ما قلت، أنهكني أن أحمل عاري وأحكيه في هذا المكان.. مر في بالي خاطر أني الوحيد بين كل هذه الجموع التي حبلت ابنته الوحيدة سفاحاَ**".[2]

يكتشف حيدر أن ابنته قد أنجبت سفاحا وأنها ترفض فكرة الزواج بتاتا، وظهر ذلك في المقطع الآتي: "**انفجر حيدر باكياَ كما لو أنه كان ينتظر رد فعلي كي يفعل. كان يبكي بحرارة وهو يقول لي الجملة ذاتها. سارة أنجبت بالحرام يا ميادة. تعال يابه شوف حفيدتك. تعال حجي مرتضى اللي كانت ناس تحلف براسه. تعال شوف ابنك**".[3] فحيدر هنا يدرك الموقف الذي وضعته فيه، ويشعر بالعجز والعار من نفسه لأنه فشل في تربية ابنته الوحيدة.

فنجد حيدر مجبراً على تحمل مسؤولية فشله في تربية ابنته، وخوفه على سمعته أمام الجالية في بريطانيا، مما ولد في نفسه صراعا حول ما عليه فعله تجاه غلطة ابنته، أما معاقبة ابنته وإجبارها على الزواج من صديقها بالقوة أو تقبل الواقع واحتواء ابنته ومحاولة

1- الرواية، ص141.

2- المصدر نفسه، ص145.

3- الرواية، ص199.

إقناعها بالزواج من صديقها. ويظهر ذلك في حواره مع أخته ميادة: "**قالت لي: اسمع يا حيدر، الفاس وقع في الراس الآن لن ينفع الآن أن نقول يا ليت كذا ويا ليت كذا، لا أرى أمامك غير أن تحتوي سارة وابنها.**

أنت تقولين ذلك يا ميادة؟ تقيمين القيامة في كل مرة تخرج فيها مريم لتسهر.

نعم ولكن الأمر مختلف جدا، لو أنك أقمت القيامة وقتها على أشياء أقل لما وصلنا إلى هنا، لكن لا مجال للوم والعتب الآن، ما حدث حدث، وهي ابنتك، وكلام الناس يذهب ويأتي، وابنتك تبقى ابنتك، وهي وحيدتك، لا حل غير أن تحتويها.

كيف أحتويها؟ ماذا أفعل؟

غدا ليلة الكريسماس، تتصل فوراً بمحل زهور وهدايا وترسل لها باقة ورد وهدية، وإذا اتصلت بها هاتفيا وبـ (لوك) يكون أفضل.

لماذا لا أجلب فرقة طبل وموزيقا وشايف خير إلى المستشفى أيضا؟ هل جننت يا ميادة؟ ورد وهدايا وتهاني وتبريكات بمناسبة ولادتها بالحرام؟ ارحميني.

بل ارحم نفسك أنت. هذا هو العقل. ما حدث، ولن أقول لك إنك المسؤول عن هذا لأنك تعرف ذلك جيدا ولا أريد أن أزيد الأمر عليك، سارة ليست مراهقة عمرها 15 سنة كي تنفع معها العقوبات، سارة شابة ومستقلة ومحامية، لا طريقة عندك غير أنك تحاول كسبها.. وكسب (لوك) أيضا.

مستحيل، لا أستطيع التفكير أصلا بذلك، أفضل الموت قبل ذلك!

يا رجل! تفضل الموت قبل ذلك! أين كان أبو خميس[1] هذا عندما كانت سارة مراهقة؟ لماذا تجعلني أتكلم بما يزعجك؟ واجه الأمر. نحن أولاد اليوم. عليك أن تحتويها، وأفضل بادرة ستكون منك وأنت هنا في مكة، وفور ولادتها، ليس بعد أشهر

1- أبو خميس: الرجل الشجاع الذي يهابه الجميع، والخميس من أسماء الأسد.

عندما تقتنع بكلامي".[1] حيدر يعيش رحلة انفصام بداخله لأن الشرقي الذي بداخله قد صحا بعد سبات عميق دام عشرين عاما، وهذا بسبب ابنته التي أنجبت في الحرام، والتي جعلته يكره نفسه ويشعر بالعار فهو مشتت بين أن ينسى بأن لديه ابنة اسمها سارة أو يتقبلها ويحاول حل المشكلة التي هو شريك فيها أيضا. ويظهر ذلك في قوله: "**عشت عشرين عاماً وأنا في حالة هدنة مع فصامي، هدنة جعلتني لا أنتبه إلى أني مضيت بعيدا في الفصام. لو أني حافظت على توازن ما، لو أن فصامي كان بدرجة أقل (...)**

هل فات الأوان؟ هل أضعت نفسي وأضعت سارة؟ هل أسمع كلام ابن خالي.. أتزوج في العراق وأخلف ذكورا أو إناثا أعوض بهم مصيبتي وعاري في سارة؟

لكني لا أريد أن أعتبر أن سارة انتهت. ولا أريد أن أخسر أميلي. ولا أريد أن أعيش من الازدواجيات في حياتي. لا يمكنني أن أحل مشكلتي مع سارة بإنجاب المزيد من المشاكل، على أمل أن يكونوا أفضل منها.

أحب سارة. لا أستطيع أن ألغيها من وجودي وحياتي. ما فعلته كان كارثة. لكني أنا المسؤول الأول عن ذلك، لا يمكن أن أعاق سارة على جريمة كنت شريكا لها بها".[2]

بعد صراع طويل مع نفسه قرر حيدر أن يحتوي ابنته وأن يتصالح معها ومع نفسه أيضا ونجد ذلك في حواره مع زوجته: "**أعرف أميلي، ليس استردادها بمعنى امتلاكها، بل بمعنى أن تعود ابنة لي لقد فقدتها كابنة، أريد أن أعود أباَ لها.. أريد منها أن تتقبلني.. وأما سأتقبلها أيضا.. سأتقبل لوك ورايان، لا أريد أكثر من كلمة يقولها لزك وورقة يوقعان عليها معا. هل هذا كثير؟**".[3]

وفي الأخير يتضح أن حيدر في صراع داخلي دائم، فهو يعيش حالة من التشتت والضياع بسبب الأحداث التي مر بها والتي يمر بها أيضا، واحساسه بأنه فاقد لنفسه وأنه

1- الرواية، ص217-218.

2- الرواية، ص281.

3- الرواية، ص283.

ضيع حياته في أشياء لا فائدة منها. فهو يشعر بالندم لأنه ألغى حيدر الشرقي من حياته واستبدله بـ(هايد) الرجل الغربي، وتأنيب الضمير الذي لم يفارقه أبدا بسبب أنه لم يكن موجودا عن موت والده.

نلاحظ أن الصراع النفسي في شخصيات هذه الرواية يلتقي في نقطة واحدة وهي أنهم تائهون وفاقدون لأنفسهم وصراعهم معها بهدف استرداد هويتهم، خصوصا مع كل من **مريم** و**ميادة** و**حيدر** و**سعد** اكتشفوا من خلال الرحلة التي قاموا بها أن جزءا منهم كان ناقصا.

كما نجد الصراع النفسي موجوداً مع شخصيات أخرى في الرواية، لكننا تطرقنا إلى الشخصيات الرئيسة والمحركة للرواية.

ثانيا: الصراع الديني:

قبل التطرق لمفهوم الصراع الديني يجب علينا أولا التكلم عن الدين الذي هو أحد أهم مكونات شخصية الإنسان وفكره وسلوكه وتعامله مع نفسه ومع كل من يحيط به.

فالدين، هو ذلك اللفظ الساحر الذي ما أن يسمعه أي امرئ حتى يهتز وجدانه، إنه جوهر الحضارات الإنسانية عبر العصور وإن علا شأنه في بعض الحضارات وابتعد عن الصورة في بعضها الآخر. ومع ذلك يظل الدين أحد السمات الحضارية التي تضافرت الفطرة فيها، الفطرة التي فطر الله الناس عليها، مع الرسالات السماوية التي أرسلها الله لهداية البشر في تجنيب الإنسان الخوف من الأساطير الكثيرة حول معبوداته التي ابتدعها منذ فجر التاريخ، وجعله يهتدي إلى الإله الواحد الأحد. ومع ذلك فلا تزال حتى وقتنا هذا الديانات الطبيعية التي يمكن أن نطلق عليها دياناتٌ فلسفيةٌ باعتبارها صناعة إنسانية إلى

جوار الديانات السماوية، كما أنه لا تزال هناك دعواتٌ وتياراتٌ إلحادية رافضة للإيمان بالوجود الإلهي على أي شكل من الأشكال.[1]

عندما تظهر "عبارتا (الدين) و(الصراع) في الجملة نفسها فإنهما تثيران على الفور صورة مجموعتين في حلبة صراع تدفعهما قوى إيمانية خاصة إنها حرب الأديان أو بحسب التعبير الحديث (صراع الحضارات)".[2]

فالعامل الديني إلى جانب العوامل الأخرى يلعب دورا كبيرا في إثارة الصراع في كل الحضارات التي شهدها العالم. فعلى أي أساس يصنف الصراع على أنه صراع ديني؟

وللإجابة على هذا السؤال تقول (سامية ربيعي): "فالتوصيف للصراع بأنه ديني يستند إلى الاقتران المفترض بين الدين والعنف والأمر الذي تأسس في ظل التقسيم الثنائي (ديني/علماني) حيث اقترنت العلمانية بروح التسامح ونبذ العنف واقترن الدين بالإقصاء والتطرف والعدوان والحروب والنزاعات، وبالتالي فإنه بمجرد حضور العامل الديني في النزاع سواء كهوية للأطراف المتناحرة، أو كقضية في النزاع أو كبعد معياري يجعل من الدين العامل الأهم في النزاع، رغم اعتراف تلك الأديان بالعجز عن فصل العامل الديني عن العوامل التاريخية والسياسية والاقتصادية، والاجتماعية، إضافة إلى تجاهلها لتعريف وتبيان مداه وحدوده".[3] فالنزاع الديني على حد قول (سامية ربيعي) مقترن بالتقسيم الثنائي ديني وعلماني، حيث اعتبرت أن التسامح والسلام ونبذ العنف متصل بالعلمانية، أما الحروب والتطرف والنزاع مقترنة بالدين مؤكدة بأن حضور العامل الديني في النزاع، يجعل منه العنصر الأهم للصراع. لكن لا يمكن ربط الدين بالعنف –حسب قولها– لأن اقتران العنف بالدين فيه ظلم كبير للدين وللإسلام خاصة، لأن الدين تسامح ليس عنف وتطرف.

1– ينظر مصطفى النشار، "مفهوم الدين وتصنيف الأديان التحليل العلمي والرؤى الفلسفية"، مجلة الاستغراب 13، خريف 2018، ص154.

2– أول ويفر، بصدد النزاع الديني في العالم العلمنة ليست حلا، تر: طارق عسيلي، مجلة الاستغراب، شتاء 2016، ص208.

3– سامية ربيعي، في مفهوم النزاعات الدينية، المجلة الجزائرية للأمن الإنساني، العدد 6، ص116.

كما يعرف (إبراهيم خطيب) الصراع الديني بقوله: "هو الصراع الذي يكون فيه الدين بمثابة الأساس لطموحات سياسية لسياسة مجموعة معينة".[1] بمعنى أنه يمكن للبعض أن يتخذ الدين كذريعة أساسية لتحقيق غايات سياسية.

ويضيف (إبراهيم خطيب) قائلا: "كما أن الصراع الديني هو ذلك الصراع الذي يستجيب لواحدة من المعايير؛ صراع بين مجموعات تتبع ديانات مختلفة، أو صراع بين مجموعات من الطوائف من نفس الدين، أو القضايا التي تشمل قضايا دينية مهمة يقع حولها الصراع".[2] فالصراع الديني في قول (إبراهيم خطيب) لا يكون بين مجموعات من أديان مختلفة فقط، بل يحدث أيضا بين طوائف من نفس الدين. بالإضافة إلى القضايا الدينية التي يقع حولها الصراع، ومثال ذلك ما يظهر في سياسية دولة ما، تجاه الدين أو دور الدين في النظام. كما نجد الصراع الديني في الجنس الروائي متجذراً بين الأنا والآخر، سواء كان الصراع قائماً بين ديانات مختلفة أو صراعاً طائفياً قائماً بين طائفتين مختلفتين لديانة واحدة.

- **تجليات الصراع الديني في الرواية:**

ولقد كان للبعد الديني دور كبير في إبراز شكل من أشكال الصراع في البنية السردية، وهو الصراع الديني أو الصراع الطائفي، والذي تعلق بالفتنة الطائفية بين السنة والشيعة والتي حدثت في العراق في فترة من الفترات، حيث صورت لنا الرواية المعاناة التي كابدها المجتمع العراقي في تلك الفترة. ويظهر ذلك في: "**كان كل شيء يسير إلى الهاوية، ميثم قتل لأنه شيعي، وعمر قد يقتل لأنه سني، دوامة القتل الظالم لا تفرق بين أحد، كنا نسمع عن أشخاص قتلوا من الجانبين، دون أي تفسير غير طائفتهم.**

(...)

1- إبراهيم خطيب، "هل نحن أمام صراع ديني؟"، مجلة دنيا الوطن، العدد 5، 2015، (مجلة إلكترونية)، ص36.
2- إبراهيم خطيب، "هل نحن أمام صراع ديني؟"، ص36.

حوادث القتل على الهوية استمرت بالازدياد، كل يوم كان هناك ثابت في الأخبار: العثور على 40 جثة مجهولة الهوية. وأحيانا أكثر. الكثير من الجثث كانت تحمل أسماء واضحة الانتماء الطائفي. عمر على رأسها من جهة السنة، حيدر.. أو سجاد.. أو عبد الحسين، من جهة الشيعة".[1]

ميادة كانت شيعية وعمر كان سنيا، وكانوا يشعرون بالحرج كلما سمعوا أن سنيا قد قُتل على يد شيعي أو شيعي قتل على يد سني، ونجد ذلك في قول ميادة: "**كنت وحيدة، بلا أم ولا أخت ولا أحد. محرجة من احتمالية أن يكون من اختطف عمر شيعيا مثلما كانوا محرجين من أن يكون من قتل ميثم سنيا. كلنا نحمل أوزار مجرمي طائفتنا فقط لصدفة جمعتنا بهم لا أكثر**".[2] فالرواية مثلت لنا الصراع الديني بن طائفتين من نفس الدين ألا وهي السنة والشيعة.

وليس بالضرورة أن يحدث الصراع الديني من خلال تصارع الديانات، بل قد يتجلى من خلال كسر شخصية ما من الشخصيات لكل تعاليم الدين الإسلامي، وعدم تبنيها نتيجة عدم تشبعها بالخطاب الديني وكل المحفزات الدينية، ومثال ذلك (عدم الصلاة، عدم الصيام، الشتم بعبارات بذيئة تهين الدين الإسلامي والخالق والوالدين)، وكل هذه الأمور تخلق بلا شك صراعا للشخصية مع باقي الشخصيات التي عادة ما تمثل دور ولي الأمر أو المراقب الاجتماعي.[3]

ويظهر الصراع الديني من خلال شخصيات الرواية، ونبدأ بأول شخصية وهي مريم التي لم تكن متدينة بشكل جدي، فهي تعتبر فتاة بريطانية متحررة تفعل ما يحلو لها، لكن عندما أرادت أن تكون روحانية –كما تقول هيا– قررت أن تدخل في تجربة روحانية كي تتأقلم مع المكان والأشخاص، فهي تعتبر الروحانية برنامج يتم تحمليه لكي تصبح روحانية.

1– الرواية، ص157.

2– الرواية، ص162.

3– ينظر ابتسام شمار، الصراع في رواية "وبدأ الظلام" لعمرو المنوفي، مذكرة ماستر تخصص أدب حديث ومعاصر، (منشورة)، كلية الآداب واللغات، قسم الآداب واللغة العربية، جامعة محمد خيضر بسكرة، 2020، ص20–21.

ونجد ذلك في الرواية: "**لم أكن روحانية. على الأقل ليس كما تفهم أمي الكلمة. أمي تفهم هذه الكلمة بطريقة واحدة فقط: دينية.. ليس أنا. بتاتا. ولكن قررت أن أحاول هذه الصفة مؤقتا لكي أدخل في الدور الذي عليَّ أن أعيش فيه خلال تجربة الرحلة إلى مكة. بطريقة ما العمارة نوع من التمثيل، لكي أكون معمارية حقا عليَّ أن أعيش المكان والتجربة والفضاء والمساحة، عليَّ أن أتوحد مع التفاصيل، لذلك فإن عليَّ قدر الإمكان أن أكون روحانية(...)**

يخيل إليَّ أن الناس يولدون روحانيين أو لا يولدون. وأنا لست روحانية، لم أمر بأي تجربة روحية من قبل، ولست متأكدة من أني سأفعل، لا أقتعد أن لديَّ «البرامج» الخاصة بها. ولدت بسوفت وير مختلف، وكل شيء على ما يرام. لكن عليَّ الآن أن أحاول تحميل بعض البرامج التي تساعدني في ذلك".[1]

مريم ليست ملحدة وليست مؤمنة بالمعنى الديني، فهي مسلمة بالاسم فقط، لكنها تؤمن بوجود قوة كبيرة تحكم هذا الكون مع أنها لا تنجذب لهذه القوة، فهي تجدها بأنها لا تعنيها ولا يمكنها تمثيل أي واحدة من الديانات التي تتواصل مع هذه القوة. ويظهر ذلك في: "**لم أكن ملحدة إطلاقا، ولم أكن لا أدرية أيضا، ولكني لم أكن «مؤمنة» بالمعنى الذي تفهمه أمي من الكلمة، كنت أؤمن بوجود «شيء ما»، قوة كبيرة في هذا الكون، الأديان وسائل تواصل مع هذه القوة، وهذا لا يجعلني ضدها ولكنه لا يجعلني مع واحد منها أكثر من سواه.**

أمي لم تكن متدينة كثيرا، لكنها كانت مؤمنة بمعنى عام، مؤمنة بتفاصيل كثيرة عن الحساب والجنة والنار لا أجد نفسي منجذبة لها. لا أرفضها. ولكن لا أجد أنها تعنيني كثيرا. يبدو أنها تحتاج إلى برنامج آخر لا أملكه، ربما كان نفس برنامج الروحانيات".[2]

1- الرواية، ص68.

2- الرواية، ص69.

بالرغم من أن مريم تعرف الصوم والصلاة، وحاولت أن تصلي عدة مرات في مناسبات مختلفة وجربت الصيام في رمضان فوجدت الأمر متعباً فتوقفت، لكنها لم تجد فيهم الروحانية –حسب قولها– ومع ذلك وجدت أن في الصيام منفعة لجسمها لأنها نباتية فأخذت تصوم أياما متفرقة، وحاولت أن تقرأ في البوذية أيضا لكن لم تجد فيها. ونجد ذلك في قولها: "**أمي تصوم رمضان، وتصلي فيه، وتقرأ القرآن. علمتني الصلاة في رمضان عندما كنت في العاشرة، وطلبت مني أن أجرب الصيام. وجربته. كان منهكاَ جداَ في تلك السنة. قرابة 18 ساعة. فلم أكمل. لاحقاَ أخذت أصوم أياماَ متفرقة. أول يوم، ويوم آخر أنساه دائما ضمن الأيام الأخيرة. تذكرني هي به. عدا التعب في الساعات الأخيرة، كنت أجد الصيام مفيداَ لجسدي، أتخلص خلاله من كل السموم، وهو أمر أقدره كثيرا كنباتية، وكنت أفهم أيضا الجانب الاجتماعي في تجمع العائلة عند كثيرين، لكني لم أجد الكثير فيها. حاولت أن أقرأ في البوذية، وأن أجرب «اليوجا».. لكن لم أجد الكثير أيضا. ربما تركيبتي النفسية والعقلية لا تعرف الوصول إلى هذه المناطق**".[1]

ونجد صراعا دينيا في حوار مريم مع إحدى صديقاتها على تطبيق الإنستغرام عن النقاب وعن مكة بسبب أنهم يذبحون فيها الحيوانات فتحدث مشادات كلامية وتدافع مريم عن دينها وعن البلد المقدس. ويظهر ذلك في: "**أرسلت لي «كلوي» (...) رسالة على الإنستغرام.**

هل من خطة للكريسماس؟ سنذهب إلى حفل «Kings of Leaon» في الـ 23 من ديسمبر، جينفر اعتذرت قبل قليل، ففضلت أن أخبرك.

بالتأكيد، آتي دوماَ كخيار أخير بالنسبة لهن. في النهاية اسمي مريم بكر آغا.

لا للأسف، لن أكون هنا.

أها إجازة خارج البلاد.. أين؟

1– الرواية، ص69.

مكة، في العربية السعودية.

أرسلت كلوي وجها يتفكر.

ثم قالت: هل أنت جادة

رددت: نعم، أخطط لذلك منذ فترة.

استلمت ثلاثة وجوه مصدومة.

ما الأمر؟ كتبت لها، وقد بدأت تستفزني.

أليس هو المكان المقدس للمسلمين الذي تذبح فيه الحيوانات؟

نعم، هو المكان المقدس لنا، والذبح لا يحدث دائماَ، فقط في موسم معين.

ألا تزالين نباتية يا مريم؟

(...)

لا ليس الأمر هكذا أبداَ، لكني لم أكن أعرف أنك متدينة، أو أي من أسرتك، هل ستضعين النقاب؟

يا للسؤال. لم يكن النقاب وارداَ. ولا الحجاب لكن مجرد معرفتها أني سأذهب لمكة جعلتها تنزل كل ما في ذهنها من أفكار جاهزة عليَّ.

ربما سأفعل، عليك أن تنتظري إلى حين عودتي لمعرفة الأمر.

جوابي صدمها أكثر، كانت تريد جوابا من نوع: بالتأكيد لا، ماذا تظنين، هل جننت؟ لو كنت أتحدث مع زميلة مسلمة لربما قلت لها ذلك. لكن مع كلوي. لن يحدث.

كتبت: أياَ كان ما ترتاحين له، المهم أن لا يكون قد حدث تحت ضغط.

للدراما. كما لو كنت قد أخبرتها أني سأنظم إلى داعش".[1]

1- الرواية، ص71-72.

كانت لمريم تجربة واحدة مع الحجاب لأن أحد الأساتذة أساء للحجاب وللإسلام بشكل عام، فشعرت مريم بالإهانة بسبب ما قاله عن الحجاب فقررت تحديه وارتداء الحجاب وإثبات هويتها الإسلامية. ويظهر ذلك في قولها: "**لكن في سنتي الجامعية الثانية، حدث ما جعلني أتعامل مع الحجاب لا على أنه «علامة قمع» بل على أنه «هوية وتحد أيضا»**.

أحد الأساتذة الزائرين في الجامعة، في مادة التصميم، علق على البصمة الإسلامية في تصميم كنت قدمته، بعد عدة ملاحظات سلبية قال شيئاَ إيجابيا عن التصميم، ثم سألني: هل أنت مسلمة؟

أجبته بالإيجاب، فقال: جيد إذن أنك لا تضعين شيئا على رأسك. أولئك اللواتي يضعن هذا الشيء لا قدرة لهن على الخيال والابداع، هذا الشيء الذي على رؤوسهن يعكس أن أجنحتهن قد قصت، لا يمكنهن التحليق كما فعلتِ.

تعليق كهذا –بهذه الصراحة– كان نادرا جداَ، كان يمكن أن أستمع إلى تلميحات عن المسلمين، لكن ليس بهذه الصراحة، وخصوصا من أستاذ جامعي. كان يمكن لي أن أقدم شكوى بحقه، لكن شعوري بالإهانة كان مما لا تداريه شكوى. شعرت بالإهانة، كما لو أنه صفعني. فكرت أني لو نظرت إلى المرآة الآن لوجدت آثار أصابعه.

في المرة التالية لتقديم تصميم آخر، كنت حريصة أكثر على إظهار البصمة الإسلامية، وعلى التحليق كما أسماه، وعلى الإتقان، لم أكن قد قررت أن أفعل شيئا غير أن أقدم عملاَ أفضل."[1]

تضيف قائلة: "**لكن صبيحة يوم التقديم، شعرت أن هذا غير كاف، كنت على وشك الخروج من غرفتي وقد أتممت ارتداء ملابسي، عدت أدراجي، ودون تفكير وضعت على رأسي غطاء للرأس، نظرت إلى نفسي في المرآة، عدلته وخرجت.**

كان هناك صمت عندما دخلت القاعة، وكان واضحا أن الرسالة قد وصلت للأستاذ.

1– الرواية، ص 111.

سألني بعض الأصدقاء، لماذا فعلتِ ذلك، فأجبت فوراً بأني لن أسمح له أن يهين هويتي، حتى لو كنت غير مرتبطة بمظاهر الدين والشعائر

(...) طيلة هذا الفصل كنت أحضر هذا الدرس محجبة".[1]

يتضح من خلال المقطع السابق صراع ديني بين مريم وأستاذها، بالرغم من أن مريم غير متمسكة بالدين الإسلامي وشعائره إلا أنها دافعت عنه وتحدت الأستاذ لكي تثبت هويتها وتبرهن له أن الحجاب لا ينقص من الخيال والإبداع وأن من يضعن الحجاب يمكنهم التحليق إلى أبعد الأماكن.

وفي الأخير فالدين بالنسبة لمريم كان عبارة عن تصميم معماري يميزها عن زملائها البريطانيين. كما قال سعد في الرواية: "**هكذا إذن، وبوضوح. الدين بالنسبة لمريم كان تصميما معماريا يميزها عن بقية البريطانيين من زملائها**".[2]

ونجد صراعاً دينياً آخر عند **حيدر** العراقي المسلم الذي سافر إلى بريطانيا هربا من الحرب التي وقعت في العراق وأكمل دراسته في بريطانيا ووجد عملا في مستشفى، لكن حيدر لم يترك وطنه فقط بل ترك دينه أيضا، فقد تزوج من مسيحية **أميلي**، وتخلى عن تعاليم دينه، مقلدا المجتمع الآخر في سلوكياته؛ تناول الخمر، وعاشر زوجته قبل الزواج، وترك الصلاة... ونجد ذلك في قوله: "**فتحت قنينة الفودكا التي جلبتها معي وأنا أكرر ما قالته ببطء كما لو أني أتأمل في كلماتها، كلمة كلمة.**

صببت الفودكا في قدح حتى آخره".[3]

ويظهر في موضع آخر أن حيدر قد تنكر من ذاته الأصلية واعتنق أفكاراً لا تتماشى والإسلام، فنجده يقول: "**كنت في الرابعة والعشرين، لا أزال قادرا على التأقلم والاندماج في المجتمع دون مشاكل كبيرة...**

1- الرواية، ص112.

2- الروية، ص260.

3- الرواية، ص60.

عندما تعرفت على أميلي بعد سنتين، كانت تدرس الصيدلة، أحببتها، وعشنا معاَ قرابة العامين قبل أن نقرر الزواج".[1]

عندما سمع حيدر خبر حمل ابنته من صديقها وإصرارها على عدم الزواج ذهب إلى حسينية كي يرتاح، طلب منه الإمام أن يصلي عندما وقف تذكر أنه لم يصل منذ سنوات وأنه انفصل عن الدين منذ مجيئه إلى (ميدلزبره) وخوفه من أن يخطئ في الصلاة ويراه الإمام ويظهر ذلك من خلال قوله: "**ثم أشار لي: ثانياَ.. اذهب وصلِّ..**

وقفت لأصلي. منذ دهور لم أفعل. كنت أحضر كل سنة مجلس العزاء الحسيني الذي يقام في ميدلزبره، وكانت هذه هي صلتي الوحيدة الباقية بالدين، لكن لم يكن حضور العزاء يتطلب الصلاة. حاولت أن أتذكر متى كانت المرة الأخيرة التي صليت فيها فعلاَ، لم أذكر.

وقفت لأصلي وأنا مرتبك، لم أكن أدري إن كان سبب ارتباكي هو تقصيري في الصلاة، أم أنه كان لأني خشيت أنه يراقبني وأن أخطئ في حركات الصلاة".[2] فحيدر يجسد شخصية العربي المسلم ضعيف الايمان الذي ينقاد بسهولة وراء شهواته.

يتضح من خلال الرواية أن حيدر في الصراع الديني، فبعد ذهابه إلى بريطانيا نجده قد تملص من دينه وأصبح رجلا غربياً تقريبا، فبعد أن قالت له أخته أن يذهب معها إلى العمرة بغرض أن يكون محرم على ابنتها واقف على الفور، من أجل أن يهرب من ابنته والمشاكل النفسية التي تواجهه، وعند وصوله إلى مكة وجد نفسه بأنه كان بعيداً عن الله وأن ما يحدث له ولابنته كان عقاباَ من الله –حسب قوله– بسبب بعده عن الدين والأفعال التي يقوم بها، لذلك قرر أن يتغير ويعود إلى الله وأن يتمسك بالدين الإسلامي، وأن يعود حيدر الشرقي المسلم. ونجد ذلك في قوله: "**سجدت أمام النافذة تجاه الكعبة وتضرعت لله أن يساعدني.**

1– الرواية، ص62.

2– الرواية، ص95.

أحسست أن ثمة من يقول لي في ذهني: وأنت؟ ألن تساعدك نفسك؟

بلى. سأفعل. سأتغير. سأكون أقرب. سأحاول على الأقل".[1]

ونجده في موقف آخر: "**جلست ميادة بجانب حيدر ومالت عليه: العشرة أيام التي صبرت فيها بدون «السم والزهر»**[2] **انتهت. هل ستشرب فور ركوبنا الطيارة أم بعد أن نخرج من أجواء السعودية؟**

رد حيدر بحزم: لا، لن أشرب.

نظرت له ميادة بشك: إلى أن نصل ميدلزبره؟

قال: ميادة لا تلحين. هذا شيء بيني وبين ربي. لا «تنبصين[3]**» في كل شيء".**[4]

وفي الأخير نجد أن حيدر بعد صراع الطويل مع الدين، قد اختار الإسلام ورجع إلى الطريق المستقيم.

ويمكننا أن نلمس تجليات الصراع مع الدين في الرواية من خلال شخصية **سعد** الذي يحمل الأنا النرجسية، وذلك في مبالغته في التعالي بالذات الأدمية على الذات الإلهية، فقد بلغ الأمر بسعد إلى القول بأنه لا حاجة له للدين وأنه مكتفي بنفس ولا يستطيع أن يصنف نفسه ضمن الناس العاديين. ونجد ذلك في قوله: "**كنت أعيش حياة بعيدة عن الدين، دون عداء. كنت ببساطة لا أرى أني بحاجة له. كنت مكتفياً بنفسي، كانت «الأنا» عندي أكبر من أن تتحمل فكرة الخضوع لأحد حتى لو كان الله. وأسوأ من هذا كانت (الأنا) أكبر من أن تقبل أن تؤمن بما يؤمن به ((الناس العاديون))، وكل الناس كانوا عاديين بالنسبة لي".**[5]

1- الرواية، ص284.

2- السم والسم المر، وأصل كلمة زهر بهذا المعنى هندية.

3- لا تحشري نفسك.

4- الرواية، ص328.

5- الرواية، ص81.

بالرغم من أن سعداً كان يصوم ويصلي بتقطع لكن سبق له وأن شرب الخمر وكانت له تجربة قبل الزواج وندم بعدها لكن ندمه لم يكن لارتكابه معصية، بل كان لرخص التجربة فهو يرى أنها ليست من مستواه وأنه أعلى من أن يفعل ذلك. ويظهر ذلك في قوله: "**كنت أصوم رمضان. وأصلي فيه –بتقطع– بحكم العادة، كان كل من في البيت يفعل ذلك قبل أن يكتشف عمر الدين.. سبق لي أن شربت البيرة والويسكي بعدد مرات الأصابع لا أكثر، كما كانت لي تجربة واحدة قبل الزواج. تجربة واحدة مدفوعة الثمن ومقرفة للغاية. لم أعتبرها مقرفة لأنها كانت كبيرة أو معصية، بل لأنها كانت رخيصة، كنت أرى نفسي أعلى وأرقى من أن أفعل ذلك**".[1]

ونلاحظ أن سعداً قرر التوبة والعودة إلى الله بعد أن خسر كل شيء، وما حدث له جعله يكتشف أن الدين هو الملجأ والمنفذ الوحيد الذي سيساعده على النهوض والعودة من جديد، بعد أن كان سعد المتعجرف المتعالي على الناس حتى على الله سبحانه وتعالى أصبح متصالحا مع نفسه ومع ربه نتيجة ما حدث له، وهذا جعله ينظر لما حدث له كعقاب يستحقه بسب غطرسته ونظرته الفوقية للناس وإيمانه بأن الحل الوحيد لتخفيف العقوبة هو القرب من الله. ونجد ذلك في: "**لكن عندما حدث ما حدث، وجدت نفسي بالتدريج أذهب إلى الله مليئا بالطعنات والكدمات والخناجر، لا، لم أكن منكسرا، كلمة الانكسار مخادعة، كنت محطما، كنت مجرد بقايا، ذهبت إليه زحفا، أملا في أن ينقذني، وأن يجعلني أواصل الحياة، أن يجعلني أملك ما أحيا من أجله، أن يجعلني أصمد على الأقل كي أعتني بأبي**".[2]

يقول أيضا: "**ساعدني الإيمان بالدين في أن أتقبل ما أنا فيه. يا رب. هذا ما قسمته لي، وهذا ما كتبته لي، وهذا امتحانك لي، أعني على اجتيازه**".[3] نلاحظ أن سعداً في صراع مع الدين لأنه لم يكن يتقبل فكرة أن يؤمن بما يؤمن به الناس العاديين، لاعتقاده

1- الرواية، ص81.

2- الرواية، ص81.

3- الرواية، ص83.

أنه أعلى من أن يخضع لأحد حتى لو كان "الخالق" لأنه سيشبه الناس العاديين، لكن بعد مقتل أخيه ووفاة أمه وشلل والده لم يجد سبيلا لكي يكمل حياته وهو مثقل بفشله وعقمه والجروح التي يحملها فلم يجد إلا طريق الله فدخل فيه بالتدريج حتى أصبح يؤمن بما لم يكن يؤمن به وخضع للذي كان يرفض الخضوع له، فسعد بعد صراعه مع الدين وعدم تقبله وجد فيه الراحة والطمأنينة التي ساعدته في تقبل فشله وعقمه على أنه امتحان من الله لكي يرى فيه مدى صبره في المحن، فالدين عند سعد كان الوسيلة التي ساعدته على الاستمرار في الحياة كإنسان طبيعي بعد أوضاعه وشعوره باليأس تجاه الحياة المفعمة بالمادية.

ونجد أيضا شخصية **ميادة** التي جعلت من الدين والصلاة وسيلة لا غاية، فكان دعاء الله بعودة عمر مرهون بعهد الالتزام بالصلاة وارتداء الحجاب، لكن بعد موت عمر توقف الأداء، وصارت الصلاة لا هي وسيلة ولا هي غاية. ويظهر ذلك في: "**في الأيام التي تلت اختفاء عمر، كنت أحاول أن أصلي، لكني كنت شبه عاجزة عن التركيز في ذلك، رغم ذلك كنت أجبر نفسي على الصلاة، وكنت أكثر من الدعاء، وكنت أقول لرب العالمين أني سألتزم أكثر بالصلاة وأرتدي الحجاب لو أنه أعاد لي عمر (...)**

وعندما حدث ما حدث، لم أستطع أن أصلي، أو حتى أن أتمكن من الدعاء (...)

في الأشهر التالية كنت مملوءة بالغضب الغضب من كل شيء وتجاه كل شيء غضب تجاه ما حدث لي ولعمر وغضب من أجل مريم وغضب لمستقبل غامض على أن أواجهه وحيدة.

كنت مملوءة بالغضب والنقمة كنت غاضبة – أستغفر الله –من الله وعلى الله".[1]

مع أن ميادة غاضبة وناقمة بسبب ما حدث لها ولزوجها وقرارها بأن لا تصلي ولا تصوم، لأن الله لم يتقبل دعاءها بإعادة زوجها –حسب اعتقادها– لكنها لم تستطع أن لا تصوم في شهر رمضان خوفا على أن يحدث شيء لابنتها مريم. ويظهر ذلك في قولها:

1– الرواية، ص166.

"عشية أول يوم في رمضان قررت أن أتصرف كما لو أني لم أسمع ولم أعرف. قررت أن أتجاهل الأمر. نمت دون سحور وأنا أنوي ألا أصوم... لكن لم أستطع. عندما استيقظت صباحا لم أستطع ألا أصوم. خفت على مريم. خفت أن أفقدها. وصمت".[1]

نلاحظ مما سبق أن الكاتب صور لنا الصراع الديني في الرواية على شكلين، الشكل الأول تمثل في الصراع الطائفي بين السنة والشيعة وهو صراع ديني بين طائفتين من نفس الدين، والشكل الثاني هو صراع ديني مرتبط بالشخصيات وذلك في صراعها مع الدين بين القبول والرفض.

ثالثا: صراع الهوية:

سيظل صراع إثبات الهوية متأججاَ ما دامت الحياة، يهدأ حيناَ ويثور أحايين كثيرة بفعل متغيرات ثقافية، واقتصادية، واجتماعية، وتاريخية، ترمي بظلالها دوما على المجتمعات المحكومة بقوانين ديناميكية تجعل حركتها الداخلية حركة دائمة. وهو صراع لا يتأجج بفعل اختلاف الجنس، أو اللغة، أو الدين، أو التاريخ فقط؛ فكثيراَ ما يشتعل أواره بين أبناء الأمة الواحدة، ولعل ذلك مرده إلى ارتفاع درجة الإحساس بالأنا لدى الإنسان، وهو إحساس يبلغ ذروته في نفوس أبناء المجتمعات المنغلقة على نفسها، فدائما ما يتهيبون من الآخر ويرفضون الاحتكاك به والتعامل معه، ويسعون خلف ما يعرف بجماعة «النحن» التي من خلالها تتحدد الهوية الاجتماعية للأفراد، وهي هوية منغلقة لا تعترف بقوانين التوازن والتفاعل والتناغم اللازمة لتفعيل الاتصال بالآخر.[2]

قبل الحديث عن صراع الهوية في الرواية يجب علينا أولا أن نتطرق إلى مفهوم الهوية عند الباحثين.

1- الرواية، ص167.

2- أبو المعاطي خيري الرمادي، "صراعات اثبات الهوية في الخطاب الروائي السعودي المعاصر: صراعات المرأة الوافد في (البحريات) نموذجا"، مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات –العدد 33، حزيران 2014، ص46.

- **مفهوم الهوية:**

إذا ما كان التوحد هو العملية التي يتكون الكائن الإنساني من خلالها باعتبار التوحد أول رباط عاطفي فإن الهوية هي وحدة الأنا (الذات) وأساسها، فهوية الأنا Ego Identity تعني ذلك الإحساس الأنوي بأني أنا هو أنا في كافة الأحوال والأزمنة وهي في الآن نفسه ما تميز الأنا عن غيرها من الأنوات، فالهوية كمبدأ فلسفي تعبر عن ضرورة منطقية بعينها تؤكد أن الموجود هو ذاته دوما لا يلتبس به ما ليس منه فهو عين ذاته كما تقول الفلسفة (مبدأ الهوية Identity Principle).[1] بمعنى أن الشخص هو هو مهما اعتراه من تغيرات، وان الهوية هي ما تميز الانسان عن غير من الأشخاص.

وللهوية تعريفات عديدة حسب العلم الذي يبحث فيها: علم النفس علم الاناسة أو علم الاجتماع. تقول (هويدا عدلي): "إن الباحث عندما يتعامل مع مفهوم الهوية على وجه الخصوص، فإنه يتعامل مع مفهوم قلق من الناحية النظرية، يثير أسئلة أكثر مما يقدم إجابات... حيث إنه من أكثر مفاهيم العلوم الاجتماعية شائكية نظرا، لما يثيره من إشكاليات عديدة. ولكن الباحث مسيهر العاني يرى أن جميع العلوم تتبنى مفهوما متقاربا للهوية، وأنها جميعا متفقة على أهم شيء في تعريف الهوية، ألا وهو (الخصوصية والتميز عن الغير)".[2]

وعرفها (محمد عمارة) بقوله: "الهوية كالبصمة بالنسبة للإنسان، يتميز بها عن غيره، وتتجدد فاعليتها، ويتجلى وجهها كلما أزيلت من فوقها طوارئ الطمس والحجب، دون أن تخلي مكانها ومكانتها لغيرها من البصمات".[3]

وورد مفهوم الهوية عند (ماجدة حمود) بقولها: "إن الهوية هي ما يصمد من الإنسان عبر الزمن، إذ تلازمه مكونة شخصيته، ومحددة معالمه بشكل ثابت، مما يمنح إبداعه

1- فرج عبد القادر طه، واخرون، معجم علم النفس والتحليل النفسي، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ط1، د.ت، ص479.

2- خليل نوري مسيهر العاني، الهوية الإسلامية في زمن العولمة الثقافية، مركز البحوث والدراسات الإسلامية، العراق، بغداد، ط1، 2009، ص41.

3- محمد عمارة، مخاطر العولمة على الهوية الثقافية دار نهضة مصر، القاهرة، مصر، ط1، 1999، ص6.

طابعا خاصا، فلا يكون مسخا للآخرين، لهذا تعد شرطا ملازما للفرد، يؤثر في الجماعة ويمنحها سمة خاصة بها، لذا لا نستطيع فصل (الأنا) عن (النحن) لأن الهوية تحقق شعورا غريزيا بالانتماء إلى الجماعة والتماهي بها، فتتبادل معها الاعتراف، وبذلك لا يمكن اختزالها في تعريف صافٍ وبسيط".[1] فالهوية تتجدد وليست مستقرة فهي تتميز بالاتساع والشمول.

والهوية أصبحت من أهم المصطلحات الأكثر شيوعا في زمننا هذا وتزامنا مع الأوضاع الاجتماعية والسياسية التي تشوبها بعض الاضطرابات التي أحدثتها غبار العولمة فأصبح الإنسان يعيش في صراع مع نفسه ومع من حوله فتولد عنه ما يسمى بأزمنة الهوية أو الاضطرابات في الهوية. "وفي ظل العلاقة المتأزمة بين الذات والآخر، بين المركز والهامش، وبين دول العالم المتحضر ودول العالم الثالث لا يعدو أن يكون الأدب والرواية بشكل خاص إلا جزءا من هذا الصراع، إنه زمن الصراع بالهويات والذوات، وبالمراكز والقوى، وبالشيوع والذيوع أو الانسلاخ والضمور حتى الأفول، هي حرب بالثقافات نتج عنها صراع هوياتي".[2] فالرواية المعاصرة أصبحت مليئة بصراع الهوية كونها تتحدث عن واقع المجتمع، في زمن أصبح مليئاً بصراع الهويات والذات فأصبحت الرواية جزء من هذا الصراع الهوياتي.

- **تجليات صراع الهوية في الرواية:**

ومن هذا المنطلق نجد أن رواية "كريسماس في مكة" لأحمد خيري العمري صورت لنا الصراع القائم بين الهويات من خلال شخصيتين، الشخصية الأولى هي **مريم** التي شكلت البؤرة المركزية، فقد جسد الكاتب من خلالها أزمة الهوية المائعة الباحثة عن الاستقرار الهوياتي، فهي تتخبط بين عالمين متناقضين شرقي أصيل وغربي متحرر.

1- ماجدة حمود، إشكالية الأنا والأخر (نماذج روائية عربية)، عالم المعرفة، الكويت، د.ط، 2013، ص15.

2- محمد حكيمي، "صراع الهوية بين الأنا والآخر في رواية (منبذو العصافير) لإسماعيل يبرير مقاربة سوسيو ثقافية"، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، مجلد 9، عدد 5، السنة 2020، ص399-400.

ويظهر ذلك في الرواية "**مريم مزدوجة الهوية تماما. اعتقدت دوما أن ازدواج الهوية مساوٍ لفقدانها. لا أعرف الآن إن كانت مريم «فاقدة لهويتها»، أم أن هويتها هي في الجمع بين هذين العالمين. شعرت بالخوف على مريم لأول مرة في هذه الرحلة. هنا أراها وهي مهتمة بالعمرة وبملابس «مناسبة»، الرجل المحافظ مسترخ في أعماقي. لكن الهوية المزدوجة تذكرني بجزء آخر من مريم. جزء رأيت إشارته على الإنستغرام. ملابس قصيرة. أكتاف ظاهرة تماماً وغير مقبولة حسب مقاييس بغداد وأعرافها وكل ما أؤمن به.. شاهدت بعض الصور أيضا وهي تجلس مع أصدقاء، ومن الواضح أنهم يشربون الكحول**".[1] فمريم هنا كانت ثمرة ثقافتين متضاربتين، إسلامية جذرا وتكفيرية منشأ.

كما تعاني مريم من صراع وجودي بين هوية السكان الأصلين لبريطانيا والهوية الوراثية من أمها وأبيها للعراق، ويظهر ذلك في قولها: "**هذا التمزق بين ما عليّ أن أدافع عنه لأنه جزء من هويتي، وبين ما أرفضه في داخلي لأني لست مقتنعة بيه، هذا التمزق الذي ورثته من بيئتي التي ظلت تمدني بتناقضات طيلة الوقت، التناقضات التي يبدو أني سأقضي حياتي وأنا أحاول التصالح معها أو التنسيق فيما بينها**".[2]

"**التنافس الحقيقي والذي يصل إلى حد الصراع، هو بين الجذور التي ورثتها عن أمي وأبي، والتربة التي وضعوني فيها**".[3]

وتتصارع مريم مع ازدواج الهوية في رحلة البحث عن الذات، صراعا داخليا بين قبول ورفض، فالمحيط من حولها يمدها بطاقة من النبذ ورفض الاندماج، فولد على أثر ذلك شخصية مزدوجة تبحث عن الخلاص الهوياتي. ويظهر ذلك في: "**كنت في الثانية عشرة عندما اكتشفت أني مهما صارت لغتي ولكنتي بريطانية تماماً، دون أي أثر**

1- الرواية، ص257.

2- الرواية، ص174.

3- الرواية، ص175.

عربي، ومهما بدوت مستعدة للاندماج، فإن المحيط حولي سيبقى يصنفني، سيضع دائرة كبيرة حمراء حولي ويكتب فوقها «عربية – مسلمة»".[1]

وبسبب نظرة الطلبة والأساتذة في الجامعة على أنها أجنبية عنهم، اضطرت مريم إلى اللجوء لموروثها العربي الإسلامي وذلك من أجل تكوين ذات متفردة متميزة في بصمتها المعمارية، التي تستقي من العمارة الإسلامية مادتها، فالموروث إذن هو وسيلة لتحقيق غاية مادية مفرغة من محتواها المعنوي، وهي الافتخار والاعتزاز بالموروث العربي الإسلامي. ونجد ذلك في حوارها مع صديقتها نزرين: "**يوم قلت لها أني الطالبة البريطانية الوحيدة غير البيضاء في قسم العمارة في شيليفد قالت لي إن هذا يمنحني فرصة إضافية للتميز على الجميع، موروث الجميع مشترك، لذا فغالباَ تصميماتهم وأفكارهم ستكون متشابهة، أما أنتِ فموروثك مختلف، وهذا يمنحك فرصة لتقديم شيء مختلف.**

كانت فكرة من خارج صندوق إحباطي وشعوري بالإقصاء في أول يوم ذهبت فيه للجامعة، أنا الوحيدة في الفصل حنطية البشرة سوداء الشعر واسمي يصرخ بأني أجنبية. عيناي الخضراوان – تقريبا – لن تغيرا كثيراَ من هويتي.

ما دمت مختلفة، عليَّ أن أقدم شيئاَ مختلفاَ.

اتجهت إلى موروثي الذي أجهله تماما لكي أقدم شيئاَ مختلفاَ".[2]

وفي موضع آخر نجد أن الدين الإسلامي بالنسبة لها قد ابتعد عن وظيفته وغايته العقائدية الحقة، ويعتمد معنى مغايرا من حيث هو وسيلة إثبات هوية، والطريق نحو تقبل التمزق الهوياتي وتحقيق التوازن المادي في رحلة البحث عن الهوية. ويظهر ذاك في: "**لأنهم هناك، في مرحلة ما، سيعاملونني على أني مسلمة مهما كنت أشبههم، مهما كنت أعيش مثلهم، سيعاملونني على اسمي ولون بشرتي، لذا، قررت، ما دام الأمر هكذا بكل**

1- الرواية، ص175.

2- الرواية، ص45.

الأحوال، أن تكون بصمتي المعمارية التي تميزني مستوحاة من العمارة الإسلامي، والمزج بينها وبين المدارس المعاصرة.

هكذا إذن، وبوضوح. الدين بالنسبة لمريم كان تصميما معمارياَ يميزها عن بقية البريطانيين من زملائها".[1]

كما صور لنا الكاتب لحظة تصالح مريم مع أزمة الهوية التي كانت تعيشها، وتحقيق الوجود الذاتي، فقد كانت "مكة" بروحانيتها عاملا أساسيا في تثبيت الهوية الإسلامية الشرقية في نفس مريم، بعد رحلة بحث مريرة عن الخلاص. ونجد ذلك في الرواية: "**انتبهت عندما خرجت إلى أني دخلت المسجد النبوي دون أن أركز في تصميمه.. لأول مرة أدخل إلى مكان دون أن أنتبه إلى عمارته وأدقق فيها، كما لو أني كنت منشغلة هذه المرة بالعمارة من الداخل. ببنائي الداخلي... للمرة الأولى أفهم أن الإسلام ليس «هوية معمارية» أضيفها إلى تصاميمي كي أتميز بها عن زملائي، بل هو هذا السلام الداخلي الذي استشعرته للحظات ضوئية يمكنني أن أحملها بقية عمري، هذا الصلح داخل نفسي، مع نفسي، الذي شعرت فيه بعدما عشت عمري في فصام مستمر".**[2]

والشخصية الثانية التي جسدت صراع الهوية في الرواية هي شخصية **حيدر** الذي يعيش في صراع داخلي بين هويته والهوية المكتسبة في عالم جديد عليه. فقد تملص حيدر من دور الرجل الشرقي المحافظ وتقمص دور الرجل الغربي المتحرر(هايد). ونجد ذلك في قوله: "**نسيت ما يتعلق بهذه الأمور تماماَ. الحمد لله أني تركت هذا التخلف كله وراء ظهري. في عصر النت والفضاء لا يزالون يمنعون المرأة من السفر دون رجل معها".**[3]

1- الرواية، ص260.

2- الرواية، ص317.

3- الرواية، ص32.

"**تعرض هايد إلى اختبارات عديدة، نجح فيها كلها بتفوق، مثبتا أن حيدر قد مات بالفعل. أول صديق لسارة، أول موعد لها مع شاب، أول سهرة في النادي الليلي، أول كأس، أول مرة ترجع فيها مخمورة**".[1]

يمثل حيدر الشخصية العربية، التي هاجرت إلى الغرب وعاشت فيه وتشبعت بقيمه وشيدت لنفسها قيماَ مختلفة عن القيم الأصلية التي كانت مقيدة لحريتها إلى أبعد الحدود كما كانت تعتقد. وبعد أن ذهاب حيدر إلى "مكة" وإنجاب ابنته دون زواج استيقظ حيدر الشرقي المحافظ، وحاول جاهدا استرجاع هويته التي ضاعت منه طيلة هذه السنوات والتكفير عن الأخطاء التي اقترفها عندما كان غارقا في الهوية الغربية البعيدة عن الدين والقيم التي نشأ عليها. ويظهر ذلك في قوله: "**عشت عشرين عاماَ وأنا في حالة هدنة مع فصامي، هدنة جعلتني لا أنتبه إلى أني مضيت بعيدا في الفصام. لو أني حافظت على توازن ما، لو أن فصامي كان بدرجة أقل، لو أن شجرة الكريسماس كانت في جهة أخرى واتجاه آخر، بحيث لا تشوش على القبلة، أما كان يمكن أن تكون الأمور مع سارة مختلفة؟ أما كان يمكن ألا نصل لهذا الذي وصلنا له؟**

هل فات الأوان؟ هل أضعت نفسي وأضعت سارة؟".[2]

فالرواية صورت لنا الصراعات التي يواجهها المسلمين في بلاد الغرب بسبب ازدواج الهوية، فالذين ولدوا في بلاد الغرب يعيشون في صراع الهوية بين بيئتين متناقضتين شرقية جذرا (الوالدين) أو غربية منشأ، فهم في حيرة بين قبول ولا قبول. وهناك أيضا الأشخاص الذين يسافرون إلى بلاد الغرب وينسون أصولهم وموروثهم ويعيشون دون الانسان الغربي المتحرر من القيود التي كانوا فيها في بلادهم، وبعد ذلك يدخلون في مشكلة ازدواج الهوية أو ما يعرف بأزمة الهوية.

1- الرواية، ص62.

2- الرواية، ص281.

رابعا: الصراع تاريخي سياسي:

لا يوجد تعريف محدد للصراع التاريخي السياسي، لكن سنحاول ضبط مفهومه وجعله واضحاً، والمصطلح يتشكل من ثلاث كلمات، الأولى هي الصراع وتعني النزاع بين أفراد المجتمع الواحد أو بين مجتمع ومجتمع آخر. والكلمة الثانية هي التاريخ والتاريخ في أبسط تعاريفه هو "حكاية عن الماضي، أو مجموعة الأحداث والوقائع الإنسانية التي مضت وانتهت؛ لكنها قابلة للتحول والتفسير والتأثير، وهي أحداث ووقائع تترك بصماتها وأثارها في الحاضر والمستقبل، وتسهم في تشكيل السلوك الإنساني عامة والفعل الابداعي ومنه الأدب خاصة".[1] والكلمة الثالثة هي السياسي والسياسة تعرف "بأنها رعاية كافة شؤون الدولة الداخلية، وكافة شؤونها الخارجية، وتعرف أيضاً بأنها سياسة تقوم على توزيع النفوذ والقوة ضمن حدود مجتمع ما".[2]

إذن فالصراع التاريخي السياسي هنا نقصد به سرد الأحداث والنزاعات السياسية التي وقعت في الماضي في إطار تاريخي.

و"العلاقة بين الرواية والتاريخ لا تزال موضع خلاف وجدل بين الروائيين والنقاد، ذلك أن الرواية يمكن أن تكون مصدرا من مصادر التاريخ، كما أن التاريخ يمكن أن يكون مرجعا للرواية ومصدرا تستقي منه موضوعاتها وتستلهم من خلالها شخصياتها".[3]

إن الرواية العربية المعاصرة، مهما تنوعت مواضيعها وتعددت أبعادها الاجتماعية والواقعية، وجنحت إلى الحداثة الشكلية والتنويع الفني، فإنها تعبر عن الأطروحة السياسية

1- محمد سالمي، جدلية الفني والتاريخي في رواية "كتاب الأمير" مسالك أبواب الحديد لواسيني الاعرج، مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماجستير، قسم الآداب واللغة العربية، كلية الآداب واللغات، جامعة محمد خيضر بسكرة، 2016/2015، ص9.

2- سميحة ناصر خليف، "تعريف السياسة لغة واصطلاحا"، 2019، موضوع، mawdoo3.com، 04-05-2022، 13:47.

3- بوجمعة بوحفص، "الرواية والتاريخ وإشكالية التداخل"، مجلة إشكالات في اللغة والآدب، جامعة تامنغست – الجزائر، مجلد 10، العدد 2، 2020، ص507.

إما بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، لذاك نقول: إن السياسة حاضرة في كل الخطابات والفنون والأجناس الأدبية، وتتمظهر بجلاء ووضوح في فن الرواية التي تعكس نثرية الواقع وصراع الذات مع الموضوع، والصراع الطبقي والسياسي، وتناحر العقائد والإيديولوجيات (...) ويضطر الروائي في هذا النوع من الروايات إلى اختلاق شخصيات متصارعة وتهيئة برامج سردية ذات مواقف متطاحنة خدمة للأفكار والولاءات السياسية آو الإيديولوجية للقارئ. وتتأرجح الرواية السياسية بين الجانب الروائي والجانب الأطروحي. وتزدهر هذه الرواية من خلال ارتباطها بسياق تاريخي وطني مليء بالصراعات الإيديولوجية التي تلزم كل روائي بالخوض فيها.[1]

فقد أضفى الكاتب ضمن أحداث الرواية نفحات سياسية غير بماشرة، وينتقل بنا من عوالم التاريخ الغابر إلى الآني الذي تتخبط فيه بغداد وما تعانيه من حرب طائفية سياسية بين السنة والشيعة. وما يهمنا نحن هو التاريخ الغابر والذي وظفه العمري بطريقة بارعة في الرواية والذي استمد مادته التاريخية من واقع حرب التتار والمغول على بغداد، مضفيا على سرده التاريخي المستوحى من الواقع بعضا من الخيال وتجلى ذلك من خلال (الشخصية والحدث).

فالروائي صور لنا الصراع (حرب) التاريخي الذي قام بين التتار وبغداد في (656هـ – 1258م)، فالتتار اقتحموا بغداد بعد رفض المستعصم بالله لأمر هولاكو المتمثل في هدم الحصون وردم الخنادق والتنازل عن الخلافة لابنه. ونجد ذلك في المقطع الاتي من الرواية: "**التتار يحاصرون بغداد مولاي قال إسحاق بصوت يريد أن يمهد لي خبراً سيئا.**

تسارعت الأمور بعدها يا مولاي، أرسل هولاكو إلى ابن أخيك الخليفة المستعصم يطلب منه أن يهدم الحصون ويردم الخنادق ويتنازل عن الخلافة لابنه، وأن يأتيه بنفسه

1– ينظر جميل حمداوي، "الرواية السياسية والتخييل السياسي"، مجلة الكلمة، العدد 4، ابريل 2007، نسخة إلكترونية، https://www.diwanalarab.com.

إلى همدان ومعه الوزير مجاهد الدين أيبك وسليمان شاه، لكن الخليفة رفض كل ذلك، وأرسل له رسالة تحذره من الهجوم على بغداد... ويبدو أن هذا قد عجل من قرار هولاكو بالزحف إلى بغداد".[1]

دخل هولاكو إلى بغداد وحول أرضها إلى خراب، وقام برمي الجثث في الأرض وفي الآبار حتى دجلة صار من السهل المشي فيه على الاقدام. ويظهر ذلك في: "**قبل الظهيرة زاد الهرج والمرج في الخارج، وفجأة صرخ رئيس الحرس بصوته الجهوري: التتار قادمون.. التتار قادمون.. الفرار الفرار..**

في اليوم الثاني بدأنا نسمع أصوات استغاثات وعويل، كان الأمر لا يشبه صوت معركة فيها خيول وسيوف، بل كان شيئا آخر".[2]

ونجد أيضا: "**علينا أن نخرج من هنا مولاي.. الوباء سيأخذنا حتما معه، إن لم يكن عبر الهواء، فبالماء، كل الآبار حولنا مليئة بالجثث، حتى دجلة، ألقيت الجثث فيه حتى أن بعض المناطق يمكن عبورها مشياَ على الأقدام... رجال.. ساء.. كبار.. صغار.. أطفال.. سكان بغداد بلا تعيين.. أكوام تلو الأكوام.. أكوام من الرؤوس المقطوعة.. تليها أكوام من الجثث بلا رؤوس.. تليها أكوام من الجثث كاملة.. الدم متجمع في كل مكان وأكوام من الذباب والهوام على كل الجثث".**[3]

يفكر أحمد المستنصر بالله الفرار من بغداد نحو الشماسية ليحتمي بـ بطريرك السريان خوفا من الهلاك. "تذهب إلى الشماسية مولاي، إلى بطريرك السريان مكيخا الثاني في كنيسة دار الروم، أعرفه جيدا سيمنحنا الأمان".[4]

1- الرواية، ص37.

2- الرواية، ص42.

3- الرواية، ص65.

4- الرواية، ص66.

تبدأ رحلة أحمد في الهروب إلى الشماسية ويتفاجأ بهول المنظر الذي آلت إليه بغداد من أكوام الجثث التي كونت تلالا بشرية، والدمار الذي حدث للبلاد. "**عندما تحدث إسحاق عن وجود تلال وأكوام من الجثث والرؤوس المقطوعة، حسبته يبالغ. لم أشك بوجود عدد كبير من الجثث في الشوارع، لكن ما رأيته كان مختلفا تماما. تمنيت لو أن القمر لم يكن بدرا الليلة، تمنيت لو أني تخيلت هذه التلال لم تكن أجساداً لبشر**".[1]

"**بدت الرصافة غريبة عني كما لو أني لم أعش فيها معظم حياتي، لم تكن نفس الرصافة، رائحة الموت، الكلاب تنهش في الجثث، الدور والأبنية مدمرة، الأبواب مخلعة، رائحة الحرائق في كل مكان امتزجت برائحة الجثث والدم.. وكانت هذه هي الرصافة المترفة التي تملأ العطور والبساتين أرجاءها**".[2]

منح التتار الأمان لأهل بغداد بعد أن قتل الخليفة المستعصم بالله وألاده وأهل بني العباس، وعاد الناس إلى العمل بعد أربعين يوما من الدمار والعذاب. "**في اليوم الأربعين، أعلن التتار الأمان كما قال لنا البطريرك.**

خلال يومين خرج أغلب من في الكنسية إلى دورهم وأحيائهم. خرج إسحاق أيضاَ ليستطلع الأمر وعاد قبل الغروب، قال لي إن الناس ينقلون الجثث من الشوارع ويدفنونها في حفر كبيرة خارج السور (...)

أخبرني أيضا أن بعض الأحياء التي تكومت فيها الجثث قد أحرقت تماما لصعوبة إخراج الجثث منها (...)

قال إسحاق أيضاَ إن الحمامات في أحياء بغداد هي أول ما بدأ في العودة للعمل، وقف أمام أبواب الحمامات متقاطرين منتظرين أدوارهم (...) بدت المدينة كمقبرة كبيرة نبشت قبورها أخرج موتاها وهم لا يعرف الواحد منهم الآخر".[3]

1- الرواية، ص97.

2- الرواية، ص98.

3- الرواية، ص220.

وبعد إعطاء التتار الأمان لبغداد قرر إسحاق وأحمد المستنصر بالله الانطلاق نحو رحلة أخرى يرسم خطاها شمس الدين الكوفي هروبا من بطش هولاكو، وبعد وصول أحمد المستنصر بالله إلى مصر بايعه بنو العباس على الخلافة، جاء نصر الله بعد زمن مليء بمرارة الظلم، فقرر أن يواصل الدرب وكله عزم على استرجاع أرض بغداد التي نهبوها منه وبناء مجدها من جديد. ونجد ذلك في: "**قدر الله الذي اختار لي النجاة، اختار لي أن أكون الخليفة، كيف شككت بذلك لحظة واحدة، سبحانك يا الله عفوك، مرت بي أيام وشهور وقد نسيت هذا، ولم أكن أطمع إلا بالخروج من السجن، لكن قدرك وعفوك ورحمتك أوسع وأجزل في العطاء**".[1]

"**سأعيد لبني العباس مجدهم وعزهم.. سأعيد لبغداد نورها وألقها، سأعيدها عاصمة الدنيا، سأجعل شمس الدين يتغزل في جمالها ويتغنى بعظمتها.. سأمحو كل ما فعله التتار بها، وأعيدها أفضل مما كانت..**

أنا الخليفة الذي ستستقيم به الدنيا.. أنا ظل الله في الأرض".[2]

بعد أن بويع أحمد المستنصر بالله على الخلافة لاستعادة بغداد من التتار خرج هو وجيشه دون وضع خطة، ليؤول مصيره إلى غير رجعة وبهذا ضاع حلم المجد على يد من وعد بأن تُعمر بغداد في حكمه. ويظهر ذلك في: "**في اللحظة التي وصل فيها أحمد إلى مصر، ورأى استقبال الناس له، تغير تماماً، حتى قبل أن تتم له البيعة.**

هذا الجيش الذي جهزه له السلطان، قاده بلا خطة، يريد أن يذهب ليستعيد بغداد على الفور، نقل له البعض أن عادة التتار هي تخريب المدن ثم تركها، فظن أن الطريق إلى بغداد سيكون سهلاً، ولن يقابه التتار، حاولت أن أثنيه عن الأمر، قلت له إن ذلك لم يبد أبداً مما رأيناه منهم من الترتيبات التي أعدوها في بغداد، فأصر أن هزيمتهم في

1- الرواية، ص285.

2- المصدر نفسه، ص286.

عين جالوت لا بد أن تكون قد غيرت من ذلك، وأن كتب أهل العراق كانت تحثه على المجيء بسرعة، فقلت ألا يذكرك هذا بشيء؟ ألم يحدث مع ابن عمك شيء مماثل؟

بعد يومين من تجاوزنا لحديثة وعانة أغار علينا التتار، كنا لقمة سائغة، لم تكن هناك عيون تسبقنا تراقب الطريق إلى بغداد، لم تكن معركة، كانت مذبحة، هربت أنا إلى النهر مع آخرين، ثم عدت لأبحث عنه بين الجثث، لم أجده، لكن هناك من رآه وهو يُذبح بيد التتار".[1]

كما نجد أن (أحمد خيري العمري) قد أدرج صراعاً تاريخياً آخر في الرواية وهو الصراع الطائفي بين الشيعة والسنة والذي برز في العراق سنة (2003)، والتي حدثت فيها مجموعة من عمليات القتل الجماعي والتفجيرات التي تستهدف التجمعات السكنية أو الأسواق، وقتل الناس على حسب هوياتهم وأسمائهم، فالسني يُقتل على يد الشيعي والشيعي يُقتل على يد السني، وذلك بسبب فتنة طائفية، ويظهر ذلك في الرواية: "**ميثم قُتل لأنه شيعي، وعمر قد يُقتل لأنه سني، دوامة القتل الظالم لا تفرق بين أحد، كنا نسمع عن أشخاص قتلوا من الجانبين، دون أي تفسير غير طائفتهم**".[2] وبهذا مزج الكاتب بين الصراع الذي حدث في بغداد في عصر الخلافة العباسية والحرب الطائفية التي حدثت في العراق (2003).

إذ نرى أن الروائي قد وحد بين التاريخي والسياسي، في مظهر يجعل محور التوحيد هو صورة بغداد بين الماضي والحاضر، فهي ذاتها بمرارة فقدان الأحبة والديار وزوال الأمن والأمان. فالعراق تمثل عاصمة الحضارة العربية منذ القدم، فهي مطمع لكل العالم وتحطيمها يعني تحطيم الحضارة العربية وتاريخها.

يمكن القول إن رواية "كريسماس في مكة" كشفت عن أشكال صراع عديدة ظهرت مع تأزم حالة الإنسان والواقع الاجتماعي، وقد مثل صراع الإنسان مع القديم والجديد، ومع

1- الرواية، ص309

2- الرواية، ص157.

كل المتغيرات والمستجدات في حياته، كما تناولت أيضاً الجانب التاريخي للعراق بما فيه من صراع السنة والشيعة وكيف أن نتاج هذا الصراع الديني طال أذاه الجميع من سنة وشيعة بلا استثناء. كما تتناول سقوط العباسيين على يد التتار في العراق وتوضح كم الدمار الذي تسبب به التتار في العراق في ربط واضح بين قديم العراق وحاضرها.

الفصل الثاني:

الصراع والبنية السردية في الرواية

إن الصراع لا يكفي وحده في بناء النص السردي، دون تواجد عناصر السرد الأخرى من شخصيات، وزمان، ومكان، وأحداث، لأن الغاية من هذه العناصر ليس استخدامها لذاتها في بناء عمل أدبي متكامل من البداية حتى النهاية، فتلك العناصر تكمل بعضها بعضاً فليس في الحياة صراعات مجردة عن الشخصيات ولا شخصيات قائمة بذاتها دون أن تقع منها أقوال وأفعال تحقق لها وجودها الإنساني، فالعمل الأدبي كيان متكامل الجوانب لا يمكن فصل عناصره عن بعضها البعض، في اكتمال البناء تكتمل معه كافة العناصر.[1]

فالصراع من أهم العناصر المكونة للرواية على وجه الخصوص، فهو أساسي وضروري ليكتمل بناؤها، ويعمل على تحريك الأحداث ونمو الشخصيات تحت إطار زماني ومكاني. وعليه سنحاول إبرازه من خلال عناصر السرد، وهي: العنوان، والشخصيات والزمان والمكان.

أولا: صراع العنوان:

احتل العنوان مكانة متميزة في الأعمال الإبداعية الأدبية والدراسات النقدية، كونه علامة تطبع الكتاب أو النص من أجل تمييزه عن غيره، باعتباره مدخلاً أساسياً لقراء العمل الأدبي. فالعنوان هو "من أهم العتبات المهمة في دراسة النص الأدبي أو الفني، فهو محور الدلالي الذي يدور حوله مضمون النص. وتبنى عليه دلالته السطحية والعميقة... فالعنوان هو المفتاح الضروري لسبر أغوار النص، والتعمق في شعابه التائهة، والسفر في دهاليزه الممتدة. كم أنه الأداة التي بها يتحقق اتساق النص وانسجامه، وبها تبرز مقروئية النص، وتتكشف مقاصده المباشرة وغير المباشرة. وبالتالي النص هو العنوان، والعنوان هو النص، وبينهما علاقة جدلية انعكاسية، أو علاقة تعيينية إيحائية، أو علاقات كلية أو جزئية".[2]

1- ينظر خولة رداوي، بناء الأحداث والصراع في المسرحية الجزائرية عند ادريس قرقرة "المرآة الصقر" – أنموذجا، مذكرة لنيل شهادة الماستر تخصص أدب جزائري، (منشورة)، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة والأدب العربي، جامعة محمد بوضياف – المسيلة –، 2016-2017، ص14.

2- جميل حمداوي، سيميوطيقا العنوان، دار الريف للطباعة والنشر الإلكتروني، تطوان، المغرب، ط2، 2020، ص 6- 8.

وعرفه (ليو هويك) المؤسس الأول لعلم العنوان الذي قام برصد العنونة رصداً سيميوطيقيا من خلال التركيز على بناها ودلالاتها ووظائفها، يقول: "بكونه مجموعة من الدلائل اللسانية يمكنها أن تثبت في بداية النص من أجل تعيينه، والإشارة إلى مضمونه الجمالي من أجل جذب الجمهور المقصود".[1] يقصد (ليو هويك) بهذا التعريف أن العنوان عبارة عن كلمات لغوية ورموز تثبت في بداية النص للدلالة على محتوى النص وجذب انتباه المتلقي.

كما يرى (رولان بارت) أن العنوان "عبارة عن أنظمة دلالية سيميائية تحمل في طياتها قيما أخلاقية واجتماعية، وإيديولوجية، وهي وسائل مسكوكة منضمة بعلامات دالة، مشبعة برؤية العالم يغلب عليها الطابع الإيحائي".[2] من خلال هذا التعريف يمكننا القول أن السيميائيات تقوم بدراسة العناوين الإيحائية الدالة على قصد، من أجل فهمها واستخراج الدلالات التي تزخر بها.

يتبدى لنا أن ملفوظ العنوان، "وكأنه عرض عارٍ، يتموقع خارج نسيج الجمل النصية الأخرى، يحمل قيمته من خلال موقعه الاعتباري الذي يشغله على رأس الصفحة الأولى، حتى قيل في هذا الشأن: «إن العنوان هو مفتاح الكتاب»، فلا يمكن للقارئ أن يتجاوب – نفسيا – مع أي عمل بدون إلقاء نظرة أولى على عنوانه".[3]

ففي اللحظة التي تصطدم فيها عين القارئ بالعنوان، يكون العالم الروائي في حكم المجهول، لأنه يمثل حلقة التعارف الأولى ولحظة التجسير الأساسية بين القارئ والنص من جهة، ومن هنا يغدو العنوان موقع التلاقي بين الكتاب و«اللاكتاب» بالمفهوم المتداول والمتعارف عليه، بصفته عتبة ممهدة لولوج عوالم النص، وخطوة مطمئنة للقارئ؛ يقترح ضمنيا إقامة علاقة حوارية بين داخل النص وخارجه".[4] فالعنوان هو أول ما يقابل القارئ

1- فيصل الأحمر، معجم السيميائيات، دار العربية للعلوم ناشرون، الجزائر، الجزائر العاصمة، ط1، 2010، ص226.

2- المرجع نفسه، 226.

3- عبد المالك أشهبون، العنوان في الرواية العربية، محاكاة للدراسات والنشر التوزيع، سوريا، دمشق، ط1، 2011، ص13.

4- المرجع نفسه، ص14.

ويهتم به، لأنه يجذبه للتمعن فيه قبل الشروع في قراءة الكتاب أو النص. وهو حلقة ربط بين النص والقارئ، والبحث في داخل النص من أجل معرفة المجهول.

واستخلاصاً لما سبق يتبين أن العنوان علامة لغوية تعلو النص، وأنه مرتبط بالنص الذي يعنونه ويحيل إلى مضمونه، فهو بمثابة المرآة العاكسة لما يوجد داخل النص الكتاب، وكلاهما مرتبط بالأخر.

بما أن العنوان هو العتبة الأولى التي يتم دراستها في العمل الأدبي، ارتأينا أن ندرس الصراع في عنوان روايتنا "كريسماس في مكة" لأحمد خيري العمري، فالرواية هنا تضعنا ومن العتبة الأولى أمام مجموعة من التناقضات والصراعات المتضاربة فيما بينها، يقف القارئ على أعتابها متسائلا: كيف لعيد يخص الديانة المسيحية أن يكون له أي علاقة بمكة؟ وهل احتفل أهل مكة واقعيا بالكريسماس؟ وما هذا التناقض الذي يدور في هذا الكتاب؟

يطرح العنوان منذ البداية مفارقة بادية مرجعياتها التضارب الإيديولوجي بين (كريسماس ومكة)، فالعنوان في هذه الرواية يتكون من لفظتين متضادين عقائديا وهما "كريسماس" و"مكة"، فمصطلح "كريسماس" يحيل في ظاهره إلى طقس ديني تعبدي له خصوصيته لدى معتنقي الديانة المسيحية، والخصوصية تتمثل في الصلوات والتراتيل التي قيوم بها المسيحيون، أما في مضمره فهو عبارة عن احتفال يشذ عن كل القيم التعبدية، ويبتعد كل البعد عن الحس الديني من قداسة والتزام، وبذلك يصير المظهر الديني – الذي في جوهره غاية – هامشا وما الكريسماس سوى ذريعة نحو تحقيق غايات نفعية اقتصادية وترفيهية.[1] وهو مناسبة عيدية يجتمع فيها الأهل.

أما لفظ "مكة" في معناه الظاهر يعبر عن مكان روحاني له قداسة خاصة عند المسلمين وهو بيت الله الحرام، وهو يمثل مكان أداء الركن الخامس من أركان الإسلام، فمكة

1– للتوسع ينظر: مكاوي ربيعة، الأنساق الثقافية في رواية "كريسماس في مكة" لأحمد خيري العمري –مقاربة ثقافية–، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر، تخصص أدب عربي حديث ومعاصر، (منشورة)، كلية الآداب واللغات، قسم الآداب واللغة العربية، جامعة محمد خيضر بسكرة – الجزائر، 2020–2021، ص46.

رمز ديني خُلد في تاريخ الإسلام منذ بدايته حتى نهايته وما يزال يُخَلد إلى يومنا هذا. وكلمة مكة في مضمرها تحيلنا إلى مكان يقطنه شعب ينتسب إليه، سواء كان هذا الإنسان خيراً أو شراً بغض النظر عن قداسة المكان والدلالة الظاهرة له.

وهذا الصراع العقائدي الذي يحمله العنوان جعل من الكاتب أو دار النشر إصدار الرواية بطبعتين تحملان عنوانين، الأولى بعنوان "كريسماس في مكة" والطبعة الأخرى بعنوان "كريسماس" فقط، وذلك لاعتراض أوساط دينية إسلامية لا ترى أنه يصح أن نقرن كريسماس بمكة، فقد يكون الأمر نتيجة منع بعض الدول من نشر الرواية أو هو إجراء احترازي قام به الكاتب لكي يسمح للرواية بالدخول إلى بعض الدول العربية التي ترى حرجا في العنوان.

فالصراع هنا ليس بين الشرق والغرب فقط، فلطالما كتبت روايات تتناول هذا الصراع وتخوض فيه، ولكن الصراع هنا بين التدين والروحانية الذي تمثله "مكة" والمادية والتحرر الذي يمثله "كريسماس" والغرب بشكل عام.

فالصراع الذي يحمله عنوان الرواية يرتبط مع متنها فهي تزخر بمجموعة من الصراعات النفسية منها والسياسية والطائفية وازدواج الهوية...، وخاصة صراع الشخصيات والذي سنتطرق له في العنصر الموالي.

ثانيا: صراع الشخصيات:

تعد الشخصية من مكونات العمل الأدبي الرئيسة، فهي القطب الذي يتمحور حوله الخطاب السردي، وأهم أداة يستخدمها الروائي لتصوير الأحداث والصراعات. "فهي العنصر الفاعل الذي يساهم في الحدث، يؤثر ويتأثر به، وبدون الشخصية يفقد كل من الزمان والمكان معناهما وقيمتهما، فالحوار هو الناطق باسم الشخصية، تتحرك ضمن الفضاء الزماني والمكاني، فلها إذن حضور جمالي خلاق في العمل الأدبي".[1] وقبل تبيان مظاهر الصراع فيها لابد من الوقوف على مفهومها.

1- يمينة براهمي، "بنية الشخصية في الرواية الجزائرية المترجمة رواية "صدمة" أنموذجا"، مجلة العلوم الإنسانية – المركز الجامعي علي كافي تندوف – الجزائر، المجلد 05، العدد01، نيسان 2021، ص 62-63.

في البداية يجب التميز بين مصطلح الشخص "Personne" ومصطلح الشخصية "Personnage" إذ هما مصطلحين يتسمان بنوع من الخلط والتداخل، ومن هنا وضع الفرق بينهما.

فمصطلح شخص كما يرى (عبد الملك مرتاض) أنه: "هو الفرد المسجل في البلدية، والذي له حالة مدنية، والذي يولد فعلا ويموت حقا"[1] أما "الشخصية فهي على حد تعبير (رولان بارت) كائنات من ورق تتخذ شكلا دالا من خلال اللغة".[2] فالشخصية إذا هي كائن يخلقه الكاتب على الورق عن طريق الكتابة.

و"لفظة الشخصية مشتقة من الأصل اللاتيني "Persona" وتعني هذه الكلمة القناع الذي يضعه الممثل على وجهه لتأدية الدور المنوط إليه؛ حبن يقوم بتمثيل دور أو كان يريد الظهور بمظهر معين أمام الناس... وبهذا تكون الشخصية ما يظهر عليه الشخص في الوظائف المختلفة التي يقوم بها على مسرح الحياة، وكلمة الشخصية هي كلمة حديثة الاستعمال تعني صفات تميز الشخص عن غيره".[3]

ويرى (عبد الملك مرتاض) "الشخصية هي مصدر إفراز الشر في السلوك الدرامي داخل عمل قصصي ما؛ فهي بهذا المفهوم فعل أو حدث؛ وهي التي، في الوقت ذاته، تتعرض لإفراز هذا الشر أو ذلك الخير، وهي بهذا المفهوم وظيفة أو موضوع. ثم انها هي التي تسرد لغيرها، أو يقع عليها سرد غيرها. وهي بهذا المفهوم أداة وصف، أي أداة للسرد والعرض".[4] فالشخصية عند (عبد الملك مرتاض) وظيفتها افراز الشر أو الخير في العمل القصصي، وقد تكون هي التي تحكي لغيرها أو محكي عنها، وبهذا فهي أداة سرد وعرض.

1- عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية، عالم المعرفة، الكويت، د.ط، 1998، ص75.

2- ميساء سليمان الابراهيم، البنية السردية في كتاب الإمتاع والمؤانسة (دراسات في الأدب العربي)، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، سوريا، د.ط، 2011، ص206.

3- يمينة براهمي، "بنية الشخصية في الرواية الجزائرية المترجمة رواية "صدمة" أنموذجا"، ص63.

4- عبد الملك مرتاض، القصة الجزائرية المعاصرة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د.ط، 1990، ص67.

كما يضع لنا (عبد الملك مرتاض) تعريفا أكثر دقة للشخصية إذ يقول: "الشخصية أداة فنية يبدعها المؤلف لوظيفة هو مشرئب منها إلى رسمها إذن فهي شخصية ألسنية قبل كل شيء بحيث لا توجد خارج الألفاظ بأي وجه لا تغدو أن تكون كائنا من ورق".[1]

فالشخصية إذا هي "عصب الحياة في النصوص السردية جميعا ومنها الرواية، فهي محور الحركة فيها، وتقود الرواية من بدايتها إلى نهايتها. فالشخصية الروائية تمثل مدار المعاني الإنسانية ومحور الأفكار والآراء العامة. وترجع أهمية الشخصيات الروائية في بنية النص الروائي، لإضفاء الحياة على العمل، وإحداث الحراك السردي الذي يؤدي إلى تطور الأحداث ووصولها إلى الذروة، وفق الوظيفة التي تؤديها الشخصية في البناء الروائي".[2]

فالشخصية "كائن قد يكون واقعيا أو متخيلا له الدور الفعال في بناء الرواية وتطورها. وعليه فالشخصية هي أهم أداة يختلقها الروائي ويلبسها مجموعة من الصفات والمميزات، تعبر عن فكرة أو الفكرة السائدة في مجتمعه، حيث تلعب الشخصية دورا رئيسيا ومهما في تجسيد فكرة الروائي، وهي من غير شك عنصر مؤثر في تسيير أحداث العمل الروائي".[3] فالشخصية هي العنصر الحيوي المحرك للأحداث داخل العمل الروائي، بل هي الركيزة الأساسية لهذا العمل، فلا يوجد عمل سردي بدون شخصيات.

إذا كانت الشخصية من أهم العناصر المكونة للرواية، وهي الوسيلة الأولى للكاتب لإيصال فكرة معينة للقارئ، فالصراع "يعكس رؤية الشخصيات – على رأسها البطل – ومدى تشعبها بالوعي من عدمه، ومدى تفاعلها مع الأحداث، ورفضها للواقع وتحديه، وسعيها الدائم إلى تغيير عالمها والارتقاء به وتطهيره من شوائب الحياة، ويبرز قناعتها وآراءها على جميع الأصعدة (دينيا، ثقافيا وإيديولوجيا...)، ما يخلق تضاربات فكرية ودينية، واختلافا بين الشخصيات، حيث يمثل ذلك الاختلاف المنطلق الأول للصراع، كما

1- عبد الملك مرتاض، القصة الجزائرية المعاصرة، المؤسسة الوطنية للكتاب، ص67-68.

2- نجود عطا الله الحوامدة، "الصراع النفسي للشخصية المحورية في رواية خاتم للروائية رجاء عالم"، د.ب، د.ت، د.ط، ص319.

3- يمينة براهمي، "بنية الشخصية في الرواية الجزائرية المترجمة رواية "صدمة" أنموذجا"، 63.

أن الصراع يتأسس على تبني قيم أخلاقية دفاعا ومحاربةً، كقيمتي الخير والشر، والالتزام والانحلال والصراحة والنفاق.. كلها قيم تظهر على الشخصيات وتترجم في أفعالها".[1] فبناء الشخصية لا يكتمل إلا بوجود صراع سواء كان هذا الصراع بين مكونات الشخصية ذاتها أو بينها وبين شخصيات أخرى مكونة للرواية وكلما تباينت الشخصيات فيما بينها ازداد الصراع، فالشخصية تتفاعل مع الأحداث عن طريق الصراعات التي تحدث بينها.

ويبرز الصراع في شخصيات رواية "كريسماس في مكة" إما بالصراع مع نفسها أو مع شخصيات أخرى دفاعاً عن فكرة أو كرهها لشخصية معينة، ونبدأ جزئنا هذا بصراع الشخصية مع نفسها.

1) صراع الشخصية مع نفسها:

يصور لنا الكاتب "أحمد خيري العمري" صراع الشخصيات مع نفسها، فمعظم الشخصيات هنا تعيش في حالة ضيق واضطرابات نفسية، بسبب ما عاشته من دمار، وحروب، واغتراب. فهذا الصراع يسمى بالصراع الداخلي للشخصية فهو مرتبط بالجانب السيكولوجي للشخصية، فهو ينتج من خلال تحاورها مع نفسها.

أ- شخصية مريم:

مريم الطالبة الجامعية في كلية الهندسة المعمارية، من أصل عراقي مولودة من زواج مختلط بين عائلتين سنية وشيعية، تنشأ بفكر غربي بحت، لا أثر للدين أو الأصل الشرقي في حياتها. تعيش بفكر غربي تدعم النسوية، كل ما تعرفه عن الشرق أنهم ذكوريون وتضيع فيه حقوق المرأة كما يعتقد كل الغرب. لكنها تعاني من صراع الهويات بين هويتها المسلمة الأصلية وهويتها الغربية المكتسبة، والتي صاغتها في النهاية على شكل تحد طرحته ضمن مشروع تخرجها الذي تعمل عليه.

مريم شخصية تعيش حالة من الحيرة والقلق والخوف لأنها ستلتقي بأهل والدها الذين لم تلتق بهم منذ أن كانت صغيرة، فهي تتكلم مع نفسها حول كيف أنها ستلاقيهم وماذا

1- بوشيبة الطيب، "البطل وأشكال الصراع في رواية (الخندق الغميق) لسهيل إدريس، مجلة (لغة – كلام) – مختبر اللغة والتواصل – المركز الجامعي بغليزان / الجزائر، العدد 07، سبتمبر 2018، ص51-52.

ستقول عندما يطرحان عليها الأسئلة، ونجد ذلك في قولها: "**الأن، دون سابق إنذار، صار عليَّ أن ألتقي بجدي وعمي اللذان لا أذكرهما، وأن أتحمل مجاملات لا طعم لها، وربما قبلات وأحضان على الطريقة العراقية، وسيقولان لي بالتأكيد إنهما لا يصدقان كم كبرت، وربما بعض الدموع مع قولهما إني نسخة من أبي**".[1]

كما نرى مريم تطرح على نفسها بعض الأسئلة حول كيف أن أهل والدها عرفا بأمر الرحلة؟ التي من المفترض أنها ستقوم بها هي وأمها من أجل مشروع تخرجها، وهل أمها التي أخبرتهم بأمر الرحلة؟، فهي في حالة الشك وحيرة من معرفتهم بأمر الرحلة، وهل أن أمها كانت على تواصل معهم طيلة هذه السنوات دون اخبارها. ويظهر ذلك في: "**كيف حدث هذا؟ كيف عرفا أننا على وشك القيام برحلة العمرة؟ هل يعقل أن أمي أخبرتهما؟ منذ متى وهي تتواصل معهما أصلا؟ كل هذه السنوات مرت دون أي تواصل من أي نوع. لا مكالمة ولا رسالة نصية ولا أي شيء. ليس معي على الأقل (...) هل كانت تتواصل معهما دون أن تخبرني؟ سنوات مرت دون أي ذكر لهما، بل أني نسيت وجودهما تقريباً**".[2]

ومريم تعيش في حالة من ازدواج الهوية فهي في صراع مع نفسها حول دفاعها عن أصلها أو التنكر له لأنها ليست مقتنعة به، ونلمح ذلك في قولها: "**هذا التمزق بين ما عليَّ أن أدافع عنه لأنه جزء من هويتي، وبين ما أرفضه في داخلي لأني لست مقتنعة به، هذا التمزق الذي ورثته من بيئتي التي ظلت تمدني بتناقضات طيلة الوقت**".[3]

فشخصية مريم هنا تعاني من القلق والشك تجاه ما سيحدث عندما تلتقي بأهل والدها، كما أنها تعاني حالة من التمزق في الهوية بين هويتها الأصلية التي ورثتها من أهلها والهوية المكتسبة من البيئة التي عاشت فيها طوال حياتها.

1- الرواية، ص15.

2- الرواية، ص15.

3- الرواية، ص174.

ب- شخصية ميادة:

ميادة والدة مريم، وهي أرملة عراقية عانت من مقتل أخيها ثم مقتل زوجها في الحرب الطائفية التي حدثت في العراق، ولم تجد أمامها إلا الهروب بابنتها الوحيدة من الموت المتكرر في وطنها، فذهبت بابنتها لإنجلترا، لكن ميادة تشعر بالذنب بعدما كبرت ابنتها بعيدة عن أهل والدها كونها حرمتهم من حفيدتهم الوحيدة فتحاول إعادة العلاقات بعدما انقطعت.

عند وصول ميادة لبريطانيا اشتغلت في تنظيف المراحيض في محطة وقود، وفي يوم من الأيام تسمع أغنية تعيد لها ذكريات قديمة في بغداد كانت تسمعها مع زوجها في سيارته. لتستيقظ من حلم اليقظة الذي كانت تعيش فيه وتجد نفسها تنظف المراحيض، فيدور حوار بينها وبين نفسها بسبب ما آلت إليه الأمور ونلمح ذلك في: "**ذات مرة سمعت لحن «زيديني عشقاً» ينطلق من هاتف ما (...) أعادني اللحن إلى سيارة عمر وسقفها المفتوح (...) ثم ها أنا هنا أنظف المراحيض في محطة وقود في ميدلزبره... كيف وصلت إلى هنا يا ميادة آل باقر؟ سألت نفسي هذا السؤال. حقا، كيف دارت بك الدنيا؟ هل كنت تتخيلين يوماً أنك ستسمعين نفس الأغنية وأنت في هذا الوضع؟**

ماذا يمكن أن تقول رشا وورولا وإيناس وكل طالبات السادس ج في ثانوية العقيدة لو عرفن بذلك؟ ماذا ستقول مدرستي المفضلة، ست رفاه، وماذا ستقول مديرتي زاهدة بابان؟ أنا.. ميادة آل باقر، ابنة سعاد الدباغ، أنظف المراحيض العامة؟ ماذا عن دفعتي دورة 95 في هندسة حاسبات بغداد. هل ستكون الشماتة أم التعاطف هي السائدة؟ هل هناك من وصل منهن إلى ما وصلت له؟ أحيانا أتساءل إن كان عمر سيحبني بهذه النسخة الجديدة مني؟ لو كان عمر لا يزال هنا.. هل كنت سأتغير أصلا؟ ".[1]

كل هذه الأسئلة طرحتها ميادة على نفسها لأنها في حالة من الإحباط والخوف. ومن خلال هذا الحوار الذي دار في نفس ميادة نجد أنها في صراع داخلي بين ماضي

1- الرواية، ص21-22.

تحطمت فيه أحلامها وحاضر تعيش فيه وهي تنظف المراحيض العامة، وخوفها من لقاء صديقاتها ويجدونها في هذه الحالة ويشمتونا بها أم يتعاطفون معها.

كما نلمح في موضع آخر أن ميادة في صراع مع نفسها لأنها لم تنس زوجها رغم أنه توفى منذ سنوات طويلة، فهي تتذكره كل يوم تقريبا عشر مرات ولهذا فهي تطرح بعض الأسئلة التي لم تجد لها إجابة في قولها: "**أتساءل: كيف يمكن أن بكون شكل حياتنا معاً؟ وهل كنا سننجب المزيد من الأطفال؟ أتساءل: كيف سيكون شكله لو بقي حياً؟**".[1]

فميادة تعاني من ألم الفقد لدرجة أنها كل يوم تطرح على نفسها نفس الأسئلة المتمثلة في لو بقي عمر ماذا سيحدث؟ أو هل سننجب أولاد؟ هل تغير شكله؟، فهي لم تتقبل فكرة موته. ونجدها أيضا في صراع مع نفسها من أجل الاعتذار من سعد بسبب أشياء قالتها في الماضي ولم تعتذر له في لحظتها، وما زاد من صعوبة الاعتذار هو نسيان سعد للموقف الذي حدث بينهم. ويظهر ذلك في: "**أرجوك سعد لا تزد الأمر صعوبة عليَّ، أنا أعتذر منك عن كل ما صدر مني، وعلى كل شيء بعدها... لا أصدق أن سعداً نسي كل شيء، لكنه يبدو صادقا في إنكاره (...)**

شربت قهوتي وأنا أقول لنفسي أن خطة الاعتذار فشلت على ما يبدو وأن عليَّ مواجهة الأمر، لكنه صار يبدو على الأقل أكثر سهولة الآن، كسرت حاجزاً على الأقل لكن الاعتذار الخاطف هذا لن ينجح".[2] بعد كل هذا الصراع الذي في داخل ميادة ومحاولتها الاعتذار لم ينجح الأمر، وبهذا يستمر صراع الاعتذار في داخلها.

تتذكر ميادة يوم قُتل زوجها وكيف أنها وجدته دون عينين، واستيقاظ الصراع في داخلها خوفا من كونهم نزعوا عينيه وهو حي، أم قتلوه وبعدما فعلوا ذلك. ونلمس هذا في قولها: "**لحظات مرت عليَّ وأنا أفكر: هل اقتلعوهما وهو حي؟ هل تألم كل هذا الألم وهو حي؟ أم أنهم كانوا أرحم به فقلعوهما بعد موته؟ هل مات تعذيباً أم قتلوه وانتهى الأمر؟**".[3]

1- الرواية، ص77.

2- الرواية، ص196.

3- الرواية، ص266.

فميادة هنا مصدومة من الموقف التي وجدت فيه زوجها بتلك الطريقة البشعة ومحتارة في الطريقة التي قتلوه بها.

يمكننا القول بأن ميادة في صراع مع نفسها وذلك خوفا من الماضي الذي عانت منه وذاقت مرارة الألم فيه، فهي لم تنس ولا لحظة مرت بها، فأحيانا تتذكر موت زوجها وأحيانا أخرى موت أخيها ومرات تشعر بالندم لما فعلته لعائلة زوجها، فميادة تعيش حالة من الاضطراب وعدم الاستقرار النفسي، لأنها لا تزال مرتبطة بالماضي ولم تنسه أبدا رغم مرور سنوات عليه، لكنها مازالت تخاف منه.

ج- شخصية سعد:

سعد عم مريم، مهندس معماري، بعدما قُتل أخوه وتوفيت أمه، اعتنى بوالده الذي أصابه الألزهايمر فيتحول سعد من شخص مغرور لا يرضيه العجب لشخص قنوع، بار بوالده، راض بابتلاءات الله، مُصلحا علاقته بالله محاولاً التقرب إليه بالطاعات.

يتجلى صراع سعد مع نفسه، لحظة معرفته بأنه سيلتقي بابنة أخيه مريم والحفيدة الوحيدة للعائلة، فيشعر بالاضطراب النفسي والخوف من أن يتم إلغاء الرحلة سواء من طرف ميادة أو بسبب وفاة والده قبل الرحلة ويتم إلغاؤها ولا يستطيع الذهاب لمكة. ونجد ذلك في قوله: "**أيام معدودات تفصلني عن اللقاء بمريم. أقضي الوقت في التفكير بالأمر كطفل يخطط لإجازته. في الحقيقة، كنت أقضي اليوم في أحلام يقظة متواصلة. كان الأمر رائعاً لدرجة أني كنت أخاف أن تتصل ميادة في أي وقت لتلغي السفرة، أن يحدث أي طارئ فيطيح بأحلامي أرضاً. بل إني كنت أستيقظ في الليل وأراقب أبي في نومه لأرى إن كان لا يزال يتنفس. كنت أخاف أن يموت في هذه الفترة تحديداً، فلا يعود بإمكاني أن أذهب إلى مكة**".[1]

كما نجد سعداً في صراع مع نفسه مرة أخرى لكن الوضع مختلف هذه المرة فهو في صراع بسبب فشله وعجزه عن الإنجاب، وتفكيره في الحياة التي تتغير ولا تترك أي شيء

1- الرواية، ص80.

من الحياة السابقة، كما أنه تذكر زوجته التي تركته وحيدا. ويظهر ذلك في قوله: "**كيف يمكن لشخص يحمل الأنا التي أحملها أن يواجه أنه سيبقى طيلة حياته عاجزت هن إنتاج ما يستطيع 99.9% من ذكور العالم إنتاجه كل يوم دون تفكير في الأمر أصلاً؟**".[1]

"**ما لم أستطع استيعابه بسهولة، هو: كيف تمضي بنا الحياة إلى اتجاهات مختلفة ولا تبقي أي شيء من الحياة سابقة لنا؟ أفكر بسوسن، لا بد أنها تستيقظ كل صباح اليوم وتعد الإفطار لأطفالها وزوجها وربما توصلهم إلى المدرسة، حياة مليئة مختلفة عن الحياة التي عاشتها معي (...) أتساءل إن كانت تذكرني أحيانا.. أو تذكر حياتها معي.. هل يمكن أن ينتهي كل شيء حقا؟**".[2]

فسعد يشعر بالإحباط لأنه عاجز عن الإنجاب، وإحساسه بالخذلان من طرف زوجته التي تركته وتزوجت وأنجبت أولادا. فالصراع الذي بينه وبين ذاته يتصاعد شيئا فشيئا.

وصل سعد إلى مكة لأداء العمرة وبعد أيام اتصل به صاحب الوكالة التي سافر معها وطلب منه جواز سفره وجواز والده. دخل سعد في صراع مع نفسه وهو يبحث عن سبب طلب الحجي ثامر (صاحب الوكالة) جوازات السفر وخوفه من أن شيئا شديداً قد حدث أم أنهم يريدون والده لأنه كان عسكريا سابقا. ويظهر ذلك في: "**مساء اتصل الحجي ثامر وهو يكاد يصرخ في الهاتف، يريد جوازي وجواز أبي وحالاً (...)**

كان الحج ثامر والحملة المرافقة له يقيمون في فندق في شارع أجياد المؤدي للحرم. هرولت راكضا ومعي جوازي وجواز أبي وأضرب أخماساً بأسداس، هل اكتشف العقد الذي مررناه؟ لكنه في الخزنة في الجناح. أنتظر فرصة مناسبة لكي أعطيه لمريم. هل في إقامتنا في فندق غير فندق الحملة المسجلين فيها مخالفة لقوانين تنظيم الحملات؟ مائة فكرة لمصيبة وكارثة جاءت في بالي، وصولاً إلى أن يكون والدي مطلوباً في الانتربول بسبب رتبته العسكرية العالية أو بسبب تشابه الأسماء. جزء من كوني عراقياً هو أن أتوقع الأسوأ دائماً.

1- الرواية، ص149.

2- الرواية، ص162.

(...)

ألم تعرف؟ من الصباح ونحن غرقى في قصة المنتحر".[1]

وبعد معرفة سعد عن جنسية المنتحر (عراقي) وسبب انتحاره يدخل في دوامة من الأسئلة التي يطرحها على نفسه، وبذلك يتذكر عقمه وفشله في الانجاب. "**يقولان إنه فقد ابنه قبل سنتين، ومن يومها وهو في وضع سيء...**

كيف فقد ابنه؟

تفجير الكرادة مجمع الليث التجاري".[2]

"**في تلك الفترة تقريباً كنت قد توقفت عن كل محاولاتي للعالج. انتهى طويت الصفحة. أو على الأقل أعلنت يأسي.**

في نفس الوقت رزق هذا الرجل بذكر، بعد أربع بنات، ثم فقده بهذه الطريقة الشنيعة بعد 14عاما. واليوم ينتحر.

من منا الأتعس؟ أنا الذي حرمت من طفل، أم هو الذي أُخذ منه بعمر 14؟ أستغفر الله. أستغفر الله. لا اعتراض على حكمك يا رب. لكن من الذي كان امتحانه أصعب؟ أنا، أم هو؟

أذن لصلاة العشاء. أخذت حكاية المنتحر معي إلى الحرم... قرأ الإمام من سورة يوسف. يعقوب ابيضت عيناه من الحزن على فقدانه يوسف. انفجرت أبكي. بكيت أطفالا ما كان يمكن أن أنجبهم لأني ببساطة لا أنتج حيامن قادرة على أن تخصب بويضة امرأة ما لتكبر وتصير أطفالاً (...) وبكيت هذا الأب المنتحر (...) أحسست أني أعرفه، كما لو أني كنت هو في (عالمٍ موازٍ). كما لو أني كنت هو عندما يكون امتحاني أصعب. نعم أصعب".[3] سعد هنا مدمر نفسيا لأنه في صراع داخلي بين أنه هو الذي عانى أكثر لأنه لم ينجب أولاداً أم المنتحر الذي مات ولده بعد 14 عاماً، واليوم انتحر هو؟

1- الرواية، ص233-234.

2- الرواية، ص234-235.

3- الرواية، ص235-236.

وفي الأخير يظهر لنا أن سعداً أكثر من عانى من الصراع مع نفسه، لدرجة أنه تغير من شخص متغطرس وأناني إلى شخص قنوع وراض بما كتبه الله له. وإحساس سعد بالعجز والفشل وكيف أنه لا يستطيع أن ينتج ما ينتجه طفل بالغ دون التفكير في الأمر، وهذا ما زاد من حدة صراعه مع ذاته فهو يشعر بالإحباط والفشل لأنه لم يفعل ولا شيء في حياته سوى أنه اعتنى بوالده المريض.

د- شخصية حيدر:

حيدر خال مريم، دكتور مخ وأعصاب، هاجر لإنجلترا وتزوج زميلته الصيدلانية بريطانية الأصل، يعيش حياة فكرية منفتحة، ونسي كونه عربياً مسلماً وبدأ العيش كونه (هايد) وليس حيدر، وربى ابنته الوحيدة على الانفتاح المفرط، ليصاب في لحظة فارقة بصدمة صراع الهويات نتيجة حرية البنت في المجتمع الغربي، لتبدأ رحلة الانفصام بداخله. ويذهب حيدر للعمرة كمحرم لأخته وابنتها، لكنه في الحقيقة كان يبحث عن حل لأزمته النفسية.

يظهر حيدر في صراع مع نفسه من خلال قوله: "**لثلاثين عاماً في بريطانيا لم أشعر بالغربة التي أشعر بها اليوم. لثلاثين عاماً في بريطانيا لم أشك للحظة في صحة خياراتي، إلا الآن، أشك في كل ما مضى، في كل شيء فعلته في هذه العقود الثلاثة. لثلاثين عاماً كنت أصنع مني شخصاً، واليوم أنظر إليه ولا أعرفه**".[1]

إذا حيدر يشعر بتأنيب الضمير لأنه ضيع حياته بلا فائدة، وإحساسه بالغربة الذي صحا بعد ثلاثين عاما من العيش في بريطانيا، فاكتشف أنه شخص آخر غير حيدر الذي كان في العراق. وشكه بأن ما كان يفعله صحيحاً أم خاطئاً، فقد كان يفعل كل شيء دون أن يراعي للعادات كتعاليم دينه.

كما يظهر حيدر في حالة عصبية بسبب ما قالته الطبيبة النفسية له، لأنها ذكرته بماضيه الأليم وأنه لم يحضر جنازة والده لأنه كان يضربه، ويظهر ذلك في:

1- الرواية، ص34.

"قالت لي: هل رأيت ذلك الحلم مجدداً؟

اللعينة! ليتني لم أتحدث عن هذا الحلم، ستفتح كل الملفات والقضايا وتدخل أنفها المعقوف في كل صغيرة وكبيرة. لا أصدق أني أدفع لها كي تفعل ذلك!".[1]

"تباً لك يا ساقطة. سببتها بأقذع ما أعرف من ألفاظ بالعربية والإنجليزية (...) الآن تريد أن تجعل الأمر كما لو أني لم أذهب إليه وهو يموت لأنه ضربني عندما كنت في الثانوية! تريد أن تجعل الأمر كما لو كان تصفية حسابات، وأن الأمور هكذا انتهت وعليَّ أن أطوي الصفحة.

فكرت للحظات أن أقوم عن مقعدي وأضربها. تخيلت عناوين الصحف صباح الأحد القادم: طبيب استشاري مسلم يضرب معالجته النفسية".[2]

فحيدر يمر بأزمة نفسية تجعله يلجأ إلى طبيبة نفسية لكي تساعده، لكن حيدر شعر بأن الطبيبة تستفزه عمداً فيتكلم مع نفسه وهو يشتم الطبيبة لأنها ذكرته بأشياء أليمة مضت، مثل وفاة والده وأنه لم يحضر دفن والده، وكيف كان يضربه عندما كان صغيرا. مما جعل حيدر في صراع داخلي بين الماضي المرير الذي يلاحقه والحاضر المليء بالمشاكل التي لا تنتهي.

فالأزمة النفسية التي يمر بها حيدر هي نتيجة تربيته لابنته على الفكر الغربي المنفتح، لأن ابنته أنجبت طفلا من غير زواج، فدخل حيدر في صراع داخلي مع نفسه لأن الرجل العربي الذي في داخله كان نائماً عندما كانت ابنته طفلة وقبل أن يفوت الأوان، فهو يشعر بالندم لضياع حياته تارة، وتارة أخرى يلوم نفسه لأنه يعتبر مشاركاً في الجريمة التي ارتكبتها ابنته.

1- الرواية، ص87.

2- الرواية، ص90.

ونجد ذلك في المقاطع الآتية: "**أغلقت الستائر وحاولت أن أنام. لكن كلام ميادة بقي يتردد في ذهني. هل يعقل أن تكون سارة قد تعمدت أن تسمي بهذا الاسم[1] لكي تترك طريقاً للعودة؟ هل سينفع أن أحاول احتواءها؟ هل سأتمكن من المحاولة أصلاً**".[2]

"**عشت عشرين عاماً وأنا في حالة هدنة مع فصامي، هدنة جعلتني لا أنتبه إلى أني مضيت بعيداً في الفصام. لو أني حافظت على توازن ما، لو أن فصامي كان بدرجة أقل (...) أما كان يمكن أن تكون الأمور مع سارة مختلفة؟ أما كان يمكن ألا نصل لهذا الذي وصلنا له؟**

هل فات الأوان؟ هل أضعت نفسي وأضعت سارة؟ هل أسمع كلام ابن خالي.. أتزوج في العراق وأخلف ذكوراً أو إناثاً أعوض بهم مصيبتي وعاري في سارة؟".[3]

فحيدر في صراع مع نفسه بسبب فعلة ابنته التي جلبت له العار، فالصراع هنا يكمن في بحث حيدر عن حل للمشكلة التي وضعته فيها سارة ابنته، وندمه على حياته التي ضاعت دون أن يفعل شيئاً، ولومه لنسفه لأنه لم يرب ابنته على التقاليد الإسلامية وترك لها الحرية في بلد متحرر.

هـ- شخصية أحمد المستنصر بالله: (شخصية تاريخية مساهمة في الأحداث الماضية)

"أحمد المستنصر بالله ابن الخليفة الظاهر شخصية حقيقية، كان حبيساً عند سقوط بغداد وتمكن من الهرب ووصل إلى مصر بعد سنوات وبويع هناك ثم قتل على يد التتار عندما حاول استعادة بغداد. تفاصيل هروبه غير معروفة، وما ورد في الرواية من تفاصيل مجرد خيال روائي".[4]

1- الاسم هو رايان.

2- الرواية، ص219.

3- الرواية، ص281.

4- الرواية، ص338.

بعد هروب أحمد من السجن يتفاجأ من المنظر الذي أمامه، أكوام من الجثث والرؤوس المقطوعة فاختلطت المشاعر عنده بين أن السجن أنقذ حياته وبين أنه لو كان هو الخليفة هل كان سيحميهم أم لا. ونجد ذلك في قوله: "**عندما تحدث إسحاق عن وجود تلال وأكوام من الجثث والرؤوس المقطوعة، حسبته يبالغ. لم أشك بوجود عدد كبير من الجثث في الشوارع، لكن ما رأيته كان مختلفا تماما. تمنيت لو أن القمر لم يكن بدرا الليلة، تمنيت لو أني تخيلت هذه التلال لم تكن أجساداً لبشر، بل كانت مجرد تلال ظهرت في بغداد في هذه السنوات العشر التي قضيتها في الحبس**".[1]

كما نجد أحمد في صراع مع نفسه حول تقبله حقيقة ما آلت إليها بغداد بعد أن دمرها التتار، وبقائها دون خليفة. ويظهر ذلك في: "**الأرض كلها بلا خليفة يا مولاي.**

أرعبتني الجملة. منذ خمسمائة عام وبنو العباس على الخلافة، منذ أكثر من ستمائة عام وهناك خليفة في الأرض. اليوم ذهب كل ذلك.

كانت هذه الكلمة مثل نفخة الصور..

لقد انتهى كل شيء. كل شيء.

الآن فهمت معنى أن تقوم القيامة".[2]

وبعد أن أعطى التتار الأمان لبغداد خرج أحمد لكي يتقصى الوضع فإذا به يصطدم بالمنظر الذي أمامه وهو عودة الناس إلى حياتهم ونسيانهم لخليفتهم الذي قتل، فشعر بالوحدة وأنه يمشي في بلاد لم يعرفها أبدا. ونجد ذلك في: "**مررنا بأحياء الكرخ الشمالية (...) هالتني عودة الحياة إليها أكثر من مشاهدة الموت في قصر الخلد (...) رأيت البعض يضحكون ويتحدثون فيما بينهم كما لو أن شيئا لم يحدث.. أهكذا ينسى الناس أميرهم وخليفتهم بسرعة؟ أهكذا يُنسى بنو العباس؟**

أهكذا تنسى المدينة من بناها؟

كان هذا أشد وطأة من كل ما مضى. هذه كانت النهاية الحقيقية.

1- الرواية، ص97.

2- الرواية، ص123.

بدت فكرة الابتعاد إلى دير بعيد عن بغداد مواتية لي. لا أستطيع أن أرى هذه المدينة التي لم أعد أعرفها".[1]

لا يوجد عند أحمد صراعات كثيرة خاصة مع نفسه فهو شخصية تاريخية أدرجها الكاتب لكي يربط بها أحداث روايته مما حدث لبغداد من طائفية وما كان بالأمس مع التتار بطريقة مشوقة وغير مقحمة على الأحداث.

2) الصراع بين الشخصيات:

وهذا الصراع يتجسد من خلال صراع الشخصيات فيما بينها أو صراع الأفكار، ويمكن استنتاج هذا الصراع من خلال الحوارات الخارجية الحادة التي تدور بين الشخصيات. ويتجلى هذا النوع من الصراع في رواية "كريسماس في مكة"، مع الشخصيات الرئيسة وهي: (مريم، ميادة، وسعد، وحيدر)، وخصصنا ذكر كل شخصية وصراعاتها مع الشخصيات الأخرى. ومن بين هذه الصراعات الخارجية نذكر:

أ- صراع مريم مع الشخصيات الأخرى:

يصور لنا الكاتب صراع مريم مع والدتها ميادة وذلك من خلال الحوار الحاد الذي دار بينهما حول رحلة كان من المفروض أنها لأداء العمرة ومشروع تخرجها في نفس الوقت، وتحولها إلى لم شمل عائلي للقاء مريم بعمها وجدها اللذين لا تعرفهما، ولم تلتق بهما منذ أن كانت صغيرة، ونجد ذلك في الحوار الآتي: "**قالت بسرعة: هناك سر بالفعل.. لكن خيالك أخذك بعيداً كالعادة.. ((خصم الكلام))**[2] **ودون المزيد من الإطالة، ولا أريد دراما في الأمر يا مريم.. سنلتقي بجدك وعمك سعد في العمرة، حصلا على التأشيرة اليوم وأخبرني عمك أنه حجز بحيث يكونان هناك قبلنا.**[3]

جدي وعمي؟!

1- الرواية، ص225.

2- خصم الكلام: خلاصته، الكلام من الآخر.

3- الرواية، ص13.

بحق يسوع يا أمي، هل أنت جادة؟ الأمر أسوأ من عريس، بل أسوأ من عريسين، واحد لي وآخر لك.

(...)

قلت لها: لا أصدق هذا الذي تقولينه.. كيف حدث هذا.. ماهي المناسبة التي ستجمعنا بهم في سفرة دراسية؟

ردت: هذه فرصة يا مريم. فرصة قد لا تتكرر أبداً. لا لك ولا لهما.

لمَ عليَّ أن أتحمل أشخاصا لم أعرفهم طيلة حياتي في رحلة كهذه؟

ردت: لم تعرفينهم لظروف خارجة عن إرادة الجميع، والآن هي فرصة لكي تتعرفي عليهم.

قلت لها: ولماذا الآن. لماذا في هذه الرحلة؟ كيف تخططين للأمر دون إخباري على الأقل؟ كيف سأستطيع التركيز في مشروعي وأكون في حالة صفاء وتركيز ذهني وأنا في صحبة ذكوريين متسلطين وكارهين للمثليين؟

ضحكت أمي بسخرية: ذكوريين؟ كارهين للمثليين؟ هل تعتقدين أن المثليين يقومون بمظاهرات في بغداد للمطالبة بحقوقهم وأن الناس هناك تصنف إلى (مع أو ضد) المثليين؟ هذا الكلام فارغ لا يصدقه إلا من لم يعش يوماً واحداً في بلداننا ولا يعرفها إلا من خلال عالمك الافتراضي المزيف.

قلت بصوت مرتفع: وربما يرغبان في إجباري على وضع غطاء الرأس، أو تزويجي من قريب لهما! لماذا عليَّ أصلا أن أفكر بهذا؟

(...)[1]

رددت: حتى لو كان ذلك. المجتمع كله ذكوري بقيمه وعاداته! قالت أمي ساخرة: احمدي ربك أنه ذكوري، ولهذا كان القتل أكثر في الذكور، لو كان المجتمع يساوي بين الذكور والإناث، لكنتُ قتلتُ أنا أيضاً، وربما أنتِ.. ذكوري ذكوري.

1- الرواية، ص13.

(...)

أنا أعد لهذه السفرة منذ زمن لأني أحتاجها في مشرع تخرجي (...) كيف تسمحين بإفساد هذا كله وتحويل الرحلة إلى لم شمل لعائلة لا أعرف عنها شيئا؟

قالت أمي باستفزاز أكبر: أنت تعدين لهذه السفرة لوحدك؟ من تكفل بكل شيء؟

(...)

قلت باستفزاز أكبر: هل تمنين عليَّ الآن بتكاليف الرحلة؟ اعتبريها ديناً عليَّ.. سأرده فور تخرجي!

ردت بحدة: هل المسألة برد الديون؟ لو حسبناها هكذا يا مريم سيكون لديك الكثير من الديون.. غالبا ستقضين حياتك وأنت تحاولين تسديدها".[1] من خلال هذا الحوار الذي بين مريم وأمها، يتبين لنا أن هناك صراعا خارجياً لأنه ظاهر، وأراد الكاتب من خلاله أن يبين لنا نظرة مريم للعرب والدين الإسلامي خاصة، فهي ترى بأن العرب ينظرون للمرأة نظرة دونية وأنهم مجتمع ذكوري لا يساوي بين المرأة والرجل بحسب ثقافتها الغربية.

كما نلمس حواراً آخر بين مريم ووالدتها حول وظيفة عمها التي أخفتها أمها عنها كل هذه السنوات وهي أنه مهندس معماري، وبما أن مريم أيضا تدرس العمارة أخذت موقفا من أمها ودخلت معها في حوار حاد، وغضب مريم لم يكن من أجل وظيفة عمها بل كان بسبب أن ميادة لم تحدثها من قبل عن عائلة والدها وعن جذورها. ويظهر ذلك في:

"**صرخت مريم بصوت مرتفع بحق يسوع يا أمي.**

(...)

قلت لها: إياكِ ثم إياكِ أن تقولي بحق يسوع هناك في مكة. إياكِ.

ردت بعصبية: كيف أخفيت عني أن عمي معماري؟

(...)

لم أخف شيئا، أنت لم تسألي، هناك فرق.

1- الرواية، ص14.

حقا؟ هل أنت جادة أمي؟ لم تتذكري الأمر عندما قررت أن أدرس العمارة؟ كل تلك المناقشات وقتها عن مجال دراستي لم تتذكري خلالها أن تقولي له إنه كان معمارياً.. بل ولديه دكتوراه في العمارة.. هل كان هذا هو السبب الذي حاولتِ دفعي فيه بعيداً عن هذا التخصص؟

مريم، هل يمكن أن تضعي خيالك في تصميماتك فقط؟ لا تستخدميه في تفسير كل شيء يدور بيننا.

هذا ليس خيالا، محض منطق، لقد أخفيتِ ذلك عني عمدا. قالت وهي تضغط على أسنانها بعصبية.

والآن علمتِ، ماذا تغير؟ كيف يمكن أن يؤثر الأمر عليكِ؟ قلت وأنا أعلم أن لا شيء سينفع معها.

سيختلف بالتأكيد، تقييمي لعائلة أبي التي لا أعرف عنها شيئاً سيكون مختلفاً لو علمت أن عمي كان معماريا. نحن المعماريون لدينا رؤية مختلفة للأشياء (...) كيف تحرميني من معرفة شخص من عائلة أبي؟

أنا آسفة مريم، الخطأ خطئي، لديك الآن فرصة لتتعرفي على عمك وعلى الرابطة الأسرية التي تجمعكما."[1]

ونجد أيضا: "**ماذا عن جدي، ماذا كان يعمل؟**

قلت لها: كان عسكرياً، ودرس في الكلية العسكرية.

كما لو حدست أن هناك تكملة للقصة، سألتني: أين؟

قلت باستسلام: في بغداد وساندهرست وأكمل الدكتوراه في..

قاطعتني: ساندهرست؟ الأكاديمية الملكية العسكرية في ساندهرست؟

نعم هل يوجد غيرها؟ حاولت أن يبدو الأمر طبيعياً.

(...)

1- الرواية، ص73-74.

قالت مريم: هذه المرة فعلاً بحق يسوع يا أمي. بحق يسوع ومحمد وبوذا وكل الآخرين.

(...)

قالت بلوم: كيف يمكن أن تنسي أشياء كهذه عن أهل أبي؟

هززت رأسي بأسى: والآن ماذا؟ هل ستحبينهم أو تحترمينهم أكثر لأن جدك تخرج من ساندهرست ولديه دكتوراه؟ وهل كنت ستحبين أبي أقل لأنه لم يكمل دراسته، كيف تفكرين؟

ردت بحدة: ليس هذا هو الأمر، لكني أستحق أن أعرف عن جذوري.

رددت بغيظ: عرفت الآن.. ما الذي اختلف؟"[1]

يتضح لنا من خلال الحوار السابق أن مريم في صراع حاد مع أمها لأنها أخفت عنها جذورها ولم تحك لها عن عائلة والدها من قبل، كما نلاحظ أن نظرة مريم لعائلة والدها ستتغير لو علمت أن عمها لديه دكتوراه في العمارة وجدها تخرج من جامعة ساندهرست ولديه دكتوراه. وهذا يعني أن نظرتها مادية تجاه عائلة والدها.

ونجد هناك صراعاً آخر عند شخصية مريم وهذه المرة مع أستاذها في الجامعة لأنه قام بإهانتها وإهانة الدين الإسلامي وتحدث عن الحجاب بسوء. لكن مريم لم تسكت له وردت له الإهانة بارتدائها الحجاب وإلقائها للعمل بطريقة أفضل من المرة السابقة، ووضعته في موقف محرج. ويظهر ذلك في: "**أحد الأساتذة الزائرين في الجامعة، في مادة التصميم، علق على البصمة الإسلامية في تصميم كنت قدمته، بعد عدة ملاحظات سلبية قال شيئاَ إيجابيا عن التصميم، ثم سألني: هل أنت مسلمة؟**

أجبته بالإيجاب، فقال: جيد إذن أنك لا تضعين شيئا على رأسك. أولئك اللواتي يضعن هذا الشيء لا قدرة لهن على الخيال والإبداع، هذا الشيء الذي على رؤوسهن يعكس أن أجنحتهن قد قصت، لا يمكنهن التحليق كما فعلتِ.

1- الرواية، ص75-76.

تعليق كهذا –بهذه الصراحة– كان نادرا جداَ، كان يمكن أن أستمع إلى تلميحات عن المسلمين، لكن ليس بهذه الصراحة، وخصوصا من أستاذ جامعي. كان يمكن لي أن أقدم شكوى بحقه، لكن شعوري بالإهانة كان مما لا تداريه شكوى. شعرت بالإهانة، كما لو أنه صفعني. فكرت أني لو نظرت إلى المرآة الآن لوجدت آثار أصابعه.

في المرة التالية لتقديم تصميم آخر، كنت حريصة أكثر على إظهار البصمة الإسلامية، وعلى التحليق كما أسماه، وعلى الإتقان، لم أكن قد قررت أن أفعل شيئا غير أن أقدم عملاَ أفضل.

لكن صبيحة يوم التقديم، شعرت أن هذا غير كاف، كنت على وشك الخروج من غرفتي وقد أتممت ارتداء ملابسي، عدت أدراجي، ودون تفكير وضعت على رأسي غطاء للرأس، نظرت إلى في في المرآة، عدلته وخرجت.

كان هناك صمت عندما دخلت القاعة، وكان واضحا أن الرسالة قد وصلت للأستاذ".[1] يتضح من خلال المقطع السابق أن مريم في صراع مع استاذها من أجل إثبات هويتها وإثبات أن الحجاب لا ينقص من إبداع المرأة بل تلحق بعيدا جدا، وهي مواجهة كثيرا ما تحدث لأبناء الجالية العربية المغتربة.

ب– صراع ميادة مع الشخصيات الأخرى:

يظهر صراع ميادة مع الشخصيات الأخرى في صراعها مع أمها بسبب عدم إخبارها لأمها عن أمر العمرة فغضبت منها الأم ظناً منها أن ميادة أخفت عنها أمر الرحلة واستغفلتها. ويظهر ذلك في الحوار الآتي: "**التمهيد لمريم بأمر لقاء جدها وعمها في العمرة ليس سهلاً. لكن ما هو أصعب بكثير مواجهة أمي بالأمر(...)**

1– الرواية، ص110–111.

اضطررت إلى أن أقسم لها أني لم أخبرها بأمر العمرة منذ البداية لأني أريد أن أذهب أنا وهي إلى الحج في السنة القادمة، وأريد أن أجعل العمرة مثل رحلة استطلاع قبل الحج.

هل تعتقدين أني زعطوطة[1] تصدق هذا الكلام؟ عيب عليك. لم أخرف بعد. قالت بحدة وهي تحادثني على الهاتف من مالمو في السويد.

يا ماما أقسم لك أن الحج السنة القادمة أنسب لك، عملية تبديل المفصل لم يمض عليها أشهر وتحتاجينه إلى جلسات العلاج الطبيعي حالياً، العمرة ستتعبك، ولا معنى في أن نتفق مرتين مرة للحج ومرة للعمرة.. هذه المرة أنا أذهب من أجل مريم فقط، والسنة القادمة نسجل على الحج إن شاء الله.

خوش كلاو[2]. كل أعذارك لم تدخل مخي، أنا ما عرفت أربي وأنت ببساطة لا تريدين أن تذهبي معي، ارتاحي.. أنا أصلاً لا أريد أن أذهب معك.

وأغلقت الهاتف في وجهي. ولم ترد عليَّ لستة أيام من الاعتذارات والوعود.. ثم أخيراً أخذت ترد وبجفاء ومائدة".[3] نلاحظ من الحوار السابق صراعا خارجيا مفاده أن والدة مريم تريد الذهاب معهم في العمرة لكن ميادة كانت تخطط للقاء أهل مريم في مكة، وأخفت الأمر عن أمها خوفاً من أن تغضب منها وألا تكلمها مرة ثانية. لكن والدتها غضبت منها بسبب إخفائها الأمر عنها والكذب عليها.

كما نجد صراعا آخر عند ميادة في صراعها مع شخصيات الرواية الأخرى، وهذه المرة ليس مع شخصية واحدة بل مع شخصيات عديدة متمثلة في عائلة زوجها، التي تشاجرت معهم وانفجرت غاضبة فيهم بعد أن أختطف عمر زوجها لأنه بقي في العراق بسببهما لكي يعتني بهما. ويظهر ذلك في: "**لا أزال أذكر نظرات الجميع عندما انفجرت. الأب انكسر وجلس بعد أن كان واقفاً. الأم فتحت فاها مصدومة، أعتقد أنها أصيبت**

1- الزعطوط: طفل صغير أو البالغ الذي يتصرف تصرفاً غير مقبول.

2- خوش كلاو: حيلة أو خدعة متقنة.

3- الرواية، ص18-19.

بجلطة عندما سمعت هذا الكلام، لسانها أصبح ثقيلا من تلك اللحظة. سعد بدا كما لو أني قد ضربته رصاصة في رأسه. سكتوا جميعا. وحدها سوسن تدخلت وهي تحاول تهدئتي، قالت أن أتعوذ بالله من هذا الكلام، رددت عليها بكلام آخر كالرصاص موجه نحوها بالذات".[1]

"انفجرت يومها. جننت. قلت لأمه وأبيه في وجهيهما أنتما السبب، لو حدث شيء لعمر فأنتما السبب، حجزنا وكنا سنسافر، لكنه بقي هنا ليرعاكما، أنتما السبب، أنتما قتلتما عمر، أنتما القتلة، لن أسامحكما، لن أجعل مريم تسامحكما لأنكما يتمتموها.. أنتما القتلة.

قلت أيضا إنهما جنيا عليه أسمياه عمر في بلد يعج بالطائفية. رغم أن الأمر لم يكن كذلك عندما وُلد عمر قبل أكثر من أربعين عاماً (...)

قلت إن سعداً هو الذي كان يجب أن يختطف بدل عمر. سعد الفاشل، سعد العقيم هو الذي يجب أن يموت، وليس عمر الذي لديه طفلة".[2]

نلاحظ أن ميادة دخلت في حالة هستيرية عندما علمت بأمر اختطاف زوجها، وقالت أشياء جارحة لأهل زوجها فهي تتهمهم بأنهم السبب في قتله لأنهم أسموه عمر في بلد يعج بالطائفية، فالصراع هنا عبارة عن صراع من طرف واحد لأنها هي التي كانت غاضبة عليهم وهاجمتهم بالكلام.

ج- صراع حيدر مع الشخصيات الأخرى:

نجد حيدر في الرواية في صراعات عديدة مع شخصيات الرواية ونبدأ بأول صراع له دار بينه وبين ابنته سارة حول قضية حملها بطفل خارج إطار الزواج، لأنها لا تؤمن بمؤسسة الزواج – حسب قولها – ويتضح ذلك من خلال الحوار الحاد الذي دار بينهما:

"قالت سارة: لدي إعلان مهم، أنا ولوك.

هي ولوك؟

1- الرواية، ص163.

2- الرواية، ص229.

هل من الممكن أنه عرض عليها الزواج وأنها وافقت مثلاً. لوك! مستحيل.

أمسكت أميلي بيدي وكأنها تتوقع ما سيحدث.

قالت سارة دون مزيد من التشويق: أنا ولوك. ننتظر طفلاً.

قالتها بفرحة، كما لو كانت تنتظر هذا الطفل بعد عشر سنوات زواج وخمس محاولات فاشلة لأطفال الأنابيب.

هل هذه مزحة؟ قلت جادا. كان أمل أنها كانت تمزح، وأن هذا الموقف كله تم تصويره عبر كاميرا خفية لنضحك عليه لاحقاً.

تغيرت ملامح سارة، قالت: أنا جادة جداً، أحب طفلي ولن أجعله مادة مزاح.

(...)

لا بد أنكِ جننت قلت وأنا أنهض من مقعدي.

قالت بصوت مرتفع: هل كنت تفضل أن أقتله؟ هل هذا سيكون أفضل بالنسبة لك؟ كيف تفكرين؟ ماذا قلتِ لنفسك قبل أن تأتي اليوم لتحملي هذا الخبر؟ هل توقعت أننا سنشرب نخب ابن الحرام هذا؟ هل ستتوقعين أن نفرح ونختار معك أسماء محتملة؟".[1]

ويستكملون: "**قاطعتها سارة: لا. لم أتوقع أنك ستفرح. لكني سئمت من هذا النفاق المستمر الذي تعيش فيه والذي تريدنا أن نعيش فيه أيضاً، جئت لأقول لك غنه سيكون لك حفيد خارج إطار الزواج وليس ابن حرام كما قلت بمفاهيمك المتخلفة.**

لم تفكري بأحد كعادتك، لم تفكري بي، لم تفكري بأسرتي، بجدتك، طفل خارج إطار الزواج، وسعيدة به أيضاً، زمن هذا.. الـ.

قاطعتني أميلي: هايد، لا تقل أشياء نندم عليها جميعاً فيما بعد.

أنا أنانية؟ أنت الأناني. أنت أكبر أناني يمكنني أن أتخيله. العالم كله يدور حول اسمك ومركزك وسمعتك بين الجالية الثرثارة التي لا تكف عن النميمة لحظة واحدة.

1- الرواية، ص142.

ربما أكون أنانياً. لكني بالتأكيد فشلت في تربيتك، هذا أسلوب تتحدثين به مع أبيك، ساقطة". [1]

وتضيف سارة: "**اسمع إذن ما ستقوله لك الساقطة التي تحمل اسمك، لن أتزوج أنا ولوك. لا تتوقع أني سأسرع لعقد زواج يحفظ ماء وجهك عند الجالية. لا تتوقع أن يغير لوك دينه ليناسب دينك الذي يميز بين الرجل والمرأة في هذا الشيء. أنا ولوك لا نؤمن بمؤسسة الزواج من الأساس ولن نتزوج لإرضاء أي أحد.**

الزواج عن أي شيء تتحدثين؟ هل تعتقدين أن زواجك من لوك تحديداً سيحل أي مشكلة بالنسبة لي. هل تعتقدين أنك تعاقبينني بعدم الزواج من لوك؟ الزواج من لوك هو العقوبة، بالنسبة لي، لوك تحديداً.

وقفت سارة بتحدٍ: لماذا لوك تحديداً؟

(...) سارة تنظر لي عيناً بعين وتقول: كن رجلاً وقلها.

(...) إذن اسمعيها، لأن لوك أسود، ابنك سيكون أسود مثله، سيبقى ذلك في أحفاده، أحفادي أنا، سيكون زنجياً، لا شيء سيغير ذلك، عقد الزواج لن يغير من شيء، المشكلة في الأب.

... قالت لي وبصوتها نفس نبرة التحدي: سيكون الأمر أسهل عليك لو كان لوك أبيض؟ لو كنت حبلى من أي أصدقائي البيض؟

سكتُّ. لم أشأ أصلا أن أفكر في جوابي.

قالت: لا أصدق كم أنت متناقض ومنافق. هذا الحديث عن الشرف والحمل خارج إطار الزواج كله يمكن أن يطير من أجل أوهامك العنصرية، لو كنت حبلى من جوشوا فلا بأس، يمكنك أن تتقبل الأمر وتتعايش معه، لكن مع أب أسود، لا. الأمر مختلف. ستندمين.

1- الرواية، ص142-143.

ربما. لكني منسجمة مع نفسي، لا أدعي شيئا لا أؤمن به ولا أنفذه، أنت ستندم بسبب العكس بالضبط، لأنك تدعي أشياء لا تؤمن بها.

(...) وجدت نفسي أرفع يدي على سارة.. لولا أن أميلي تدخلت لكنت صفعتها".[1]

من خلال هذا الحوار الحاد والطويل الذي دار بين حيدر وابنته سارة يتضح أن هناك شجاراً بينهما، لأن سارة حبلى من صديق لها دون الزواج منه، لأن حيدر لم يرب ابنته تربية صحيحة على الدين الإسلامي، وأنه لا يطبق الأشياء التي يؤمن بها مثل ما قالت ابنته، كما يتبين لنا من هذا الصراع، أن حيدر متناقض مع نفسه لأنه أناني وعنصري، ويعتبر نفسه رجلاً أبيض لمجرد أنه تزوج من بيضاء ويسكن في بريطانيا ويميز بين الناس بلون بشرتهم وهذا يعني لو أن سارة حملت من رجل أبيض كان سيبقل الأمر ويسكت، فالكاتب هنا يصور لنا الشخصية المتناقضة مع ذاتها ليس لديها معتقدات ثابتة متمسكة بها، والتي إذا وجدت الحرية تتيه ولا تجد نفسها إلا بعد فوات الأوان، وهذا هو حال معظم العرب الذين هاجروا إلى بلاد الغرب.

كما يظهر حيدر في صراع مع شخصية أخرى وهو سعد خال مريم، بينما أعدت مريم للاحتفال بالكريسماس مع عائلتها، قرر سعد أن يعطي هدية لمريم وقال بأنها ليست بمناسبة الكريسماس لأنهم لا يحتفلون به، فجأة قام حيدر بافتعال شِجار بينهما بسبب جملة نحن ليس عندنا كريسماس ولا نحتفل به. ويظهر ذلك في: "**قال عمي وهو يقلد ما يحدث في الأفلام بعد هذه الخطب: أوه، لقد ابكيتني.**

(...)

ثم وقف وقال: سلام عليكم جميعا، لديَّ شيء أريد أن أعطيه لمريم، ليس بسبب الكريسماس، نحن ليس لدينا كريسماس لأنه ليس عيدنا، ولكن بسبب أننا اجتمعنا اليوم.. وهذا الذي..

قاطعه خالي: من تقصد بـ نحن؟ من أنتم الذين ليس لديكم كريسماس؟

1- الرواية، ص144-145.

(...) قال عمي ببرود مستفز: نحن المسلمون طبعاً.. ليس لدينا كريسماس.. لدينا عيد فطر وعيد أضحى كما تعلم.

أخذ خالي الطعم وابتلعه. استفزه خالي: أنتم المسلمون ونحن ماذا.. كفار؟

قال عمي ببرود أكثر استفزازاً: كيف فهمتها هكذا دكتور؟ قلت نحن.. قصدت نحن جميعا.. وأشار بيده إلى الجميع".[1]

ويستكملون أيضا: "**رد خالي: حقا؟ كنت تقصد نحن جميعا؟ لكننا نحتفل بالكريسماس! فهل نحن مسلمون؟**

كانت لهجته قد زادت حدة، تدخلت أمي قائلة: يا جماعة صلوا على النبي..

قال لها خالي: على أي نبي تقصدين؟ يبدو أن سعداً يعتقد نبينا غير نبيهم..

قال عمي: لا لا يا دكتور حاشاكم ذلك، نبينا واحد وقبلتنا واحدة.. حسب ما قالت مريم فإن احتفال الكريسماس عندكم عيد عائلي واجتماعي، لا معنى دينياً فيه..

قال خالي: أنتم مصابون بفصام حقيقي. تستوردون كل شيء من الغرب وتذمونه في الوقت نفسه..

رد عمي الضربة: ربما هي درجات في الفصام.. لن تصل ببعضنا إلى الاحتفال بالكريسماس.. وتصل بغيرهم إلى ذلك..

لم يسكت خالي: على الأقل نحن متصالحون مع فصامنا. المشكلة فيمن يلعن كل جزء منه الآخر..

قال عمي: تعرف يا دكتور.. ربما كنت على حق بعد كل شيء.. ربما البعض متصالح مع نفسه والبعض ليس كذلك.. لكن ربما كان التصالح أحياناً مثل التصالح مع السرطان عند بعض المرضى الذين يستسلمون للمرض.. ليس كل تصالح يكون إيجابياً بالضرورة يا دكتور وانت أعرف..

1- الرواية، ص271.

قال خالي بمرارة: الآن أصبح الغرب سرطاناً، لكن عندما يصيبكم السرطان تركضون للغرب ومستشفياته..".[1] من خلال هذا الحوار الذي دار بين حيدر وسعد تتضح لنا علاقة كريسماس بمكة في عنوان روايتنا، فهذا الشِجار أو الاختلاف الذي بينهم يصور لنا صراع الشرق مع الغرب لكن هذه المرة ليس صراع حرب أو بين شرقي وغربي، بل بين شرقي وشرقي مغترب.

د- صراع سعد مع الشخصيات الأخرى:

نبدأ بأول صراع دار بين سعد والشخصيات الأخرى وهو صراعه مع عائلته المتمثلة في والده وزوجته سوسن، عندما كان سعد يمر بأسوأ فترة في حياته مع فشله وعجزه عن الإنجاب ومثخناً بالغضب وكان يفرغ غضبه وشعوره بالعجز في عائلتها وخاصة والده الذي كان يمر بأسواء أطوار حياته بعد أن أحالوه إلى التقاعد برتبة أدنى كنوع من العقوبة، فكان سعد يعلق فشله وعجزه على شماعة والده بأنه هو من جعل منه إنساناً فاشلاً. ونجد ذلك على لسان سعد: "**هكذا اصطدمت به في الوقت الذي كان هو يمر بأسوأ أطوار حياته، وجعل ذلك الأمور أسوأ وأسوأ بيننا.**

وجدت أبي ليكون شماعة أفسر بها كل فشل أمر به. كنت أقول له إن الأساتذة في المدرسة كانوا يعادونني ولا يمنحوني ما أستحق لأنه أصبح مكروهاً من قبل الحكومة، بينما عمر أفلت من ذلك... تعودت ان ألومه على كل شيء إلى أن وصلت إلى عقمي. كنت أعرف أنه لا معنى في اتهامه بهذا. ولكنه كان قد أصبح مثل كيس الملاكمة الذي تعودت أن أوجه له كلمات كاللكمات".[2]

يقول أيضا: "**واجهت الأمر بالانتقام الساخر من كل شيء. كل شيء. انتقام من كل من يمر أمامي بتعليقات حادة وانتقادات لاذعة. لم يسلم أحد مني. لا أمي ولا أبي. لومي الأكبر كان لأبي على نحو لا يمت للمنطق بصلة (...)**

1- الرواية، ص272.

2- الرواية، ص149.

حربي مع الكل شملت سوسن أيضاً، كنت أتمرد على فكرة أنها قد بقيت معي شفقة عليَّ. لا أريد شفقتك كنت أصرخ بها".[1]

من خلال هذا الصراع الذي دار بين سعد وعائلته يتضح لنا أن سعداً كان يمر بفترة صعبة ولم يجد كيف يخرج هذا الشعور السيء الذي في داخله فلم يجد أمامه سوى عائلته وخاصة والده الذي كان يلومه على كل شيء سواء في فشله في الحياة أو في عقمه. وهذا الصراع وإن دل على شيء فإنه يدل على أن أول من يعاني بسبب فشل أو عجز أحدهم هم عائلته لأنها الملاذ الأول لكي يفسر بها فشله وعجزه.

كما نجد سعداً في صراع آخر وهذه المرة مع ميادة، فهذه الأخيرة لم تستلطف سعدا وكذلك سعد لم يتقبلها، فكان كلما التقيا يحدث بينهما مشادات كلامية أو سوء فهم لنكت سعد التي يقولها لميادة. ويظهر ذلك في الرواية: "**ميادة لم تستلطفني يوماً. بل أعتقد أنها كانت تكرهني منذ البداية. كانت حساسة وتسيء فهم نكتي وتعليقاتي وتأخذ الأمور بشكل شخصي جداً، دخلت العائلة وهي متوجسة وخائفة من الرفض لأنها شيعية، لذا كانت تفسر كل ما أقول على نحو خاطئ تماما...**

لم أتقبلها أنا أيضا. لم أفهم ما الذي جعل عمر يحبها من الأساس".[2]

كما يظهر الصراع على لسان ميادة: "**كنت أبكي بعد كل لقاء أرى سعداً فيه. أقاومه وأرد الصاع صاعين أحياناً، ولكني أبكي لاحقاً عندما أكون وحدي أو مع عمر".**[3]

وفي الأخير يمكننا القول بأن روايتنا استعملت الصراع الخارجي أكثر من الصراع الداخلي، لأن الصراع الخارجي أكثر فعالية في تحريك الأحدث، كما نرى أن الشخصية هي المحرك الأساسي للأحداث والسبب في الصراع، وهذه أهم الصراعات الظاهرة بين الشخصيات في الرواية، أما باقي الشخصيات فلم يحضر فيها صراع إطلاقا.

1- الرواية، ص150.

2- الرواية، ص55-56.

3- الرواية، ص49.

ثالثا: صراع الزمكاني في الرواية:

تلعب الزمكانية دوراً فعالاً في تسريع وتجديد مسار أحداث الرواية، إذ ينقسم هذا المصطلح إلى الزمان والمكان. "فالزمكانية مصطلح منحوت من كلمتي الزمان والمكان، وهو في الأساس مصطلح غربي مشتق من اللفظ اللاتيني: (Chrontope) لجذرين لغويين لاتينيين هما: (Chronos) الذي يعني الزمان، و(Topos) الذي يعني المكان، وإدغامها يعطي (Chrontope)".[1]

فثنائية الزمان والمكان "من أهم المظاهر الجمالية المكونة للخطاب الروائي والتي يسعى من خلالهما الراوي، إلى تأطير الحدث، حضورهما ضروري ولا يمكن عزلهما عن السياق، فالعلاقة أساسية تشخص جدلية الواقع في الحياة، وتشخص الواقع الروائي في حد ذاته. إنهما عنصران متلازمان لا يمكن الفصل بينهما فأثناء دراسة الخطاب الروائي يستحيل تناول المكان بمعزل عن احتوائه للزمان، كلاهما مرتبط بالمكونات الأخرى للعمل السردي كدور الشخصيات والأحداث وترتيب الأحداث من خلال تكامل مراحلها".[2]

نبدأ بأول صراع وهو صراع الزمان في الرواية، وقبل الحديث عن تجليات الصراع الزمني في رواية "كريسماس في مكة" لابد من التطرق إلى مفهوم الزمن بإيجاز.

1. صراع الزمن:

يمثل الزمن عنصرا أساسيا من العناصر التي تقوم عليها الرواية، حيث لا يمكن تصور رواية جرت أحداثها خارج قالب الزمن. وحيث "يؤثر في العناصر الأخرى وينعكس

1- منير بهار العتيبي، البنية الزمكانية في روايات وليد الرجيب (دراسة وصفية تحليلية)، رسالة ماجستير تخصص اللغة العربية وآدابها، (منشورة)، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب والعلوم، جامعة شرق الأوسط، 2015، ص20.

2- زهيرة بنيني، بنية الخطاب الروائي عند غادة السمان –مقاربة بنيوية–، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه علوم في الأدب الحديث، (منشورة)، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة العقيد الحاج لخضر، باتنة – الجزائر، 2007–2008، ص153.

عليها. فالزمن حقيقة مجردة سائلة لا تظهر إلا من خلال مفعولها على العناصر الأخرى".[1] فالشخصيات والأحداث تتحرك وتتشكل في فضاء زمني.

ويعرفه (عبد الملك مرتاض) بأنه: "مظهر وهمي يزمنن الأحياء والأشياء فتتأثر بماضيه الوهمي، غير المرئي، غير المحسوس. والزمن كالأكسيجين يعايشنا في كل لحظة من حياتنا، وفي كل مكان من حركتنا، غير أننا لا نحس به، ولا نستطيع أن نتلمسه، ولا أن نراه، ولا أن نسمع حركته الوهمية على كل حال".[2] فعبد الملك مرتاض يشبه الزمن بالأكسيجين الذي نتنفسه دون أن نراه أو نلمسه، ويؤكد على دوره الفعال في كل بناء سردي.

كما يعرفه (جيرالد برنس) بقوله: "هو الفترة أو الفترات التي تقع فيها المواقف والأحداث المقدمة (زمن القصة، زمن المروي) والفترة أو الفترات التي يستغرقها عرض هذه المواقف والأحداث (زمن الخطاب، زمن السرد)".[3]

"يؤثر عن الشكلانيين الروس أنهم كانوا من الأوائل الذين أدرجوا مبحث الزمن في نظرية الأدب ومارسوا بعضا من تحديداته في الأعمال السردية المختلفة، حيث جعلوا نقطة ارتكازهم ليس طبيعة الأحداث في ذاتها وإنما العلاقات التي تجمع بين تلك الأحداث وارتباط أجزائها".[4]

إن مفهوم الزمن في الرواية التقليدية يختلف عن الرواية الجديدة، فإذا كان الزمن يعني في الرواية التقليدية الوقت الماضي، فإنه يعني في الرواية الجديدة مدة التلقي أو القراءة، وما تريد الرواية الجديدة التأكيد عليه هو زمن القراءة الذي تجري فيه الأحداث مختزلة، فـ(غرييه) مثلا يرى الزمن قد أصبح، منذ بروست وكافكا، هو الشخصية الرئيسية في الرواية المعاصرة، ولذلك فإنه لم يعد هناك زمن إلا الحاضر زمن الخطاب، أما ما قبل

1- سيزا قاسم، بناء الرواية، دراسة مقارنة في "ثلاثية" نجيب محفوظ، مكتبة الأسرة، القاهرة، مصر، د.ط، 1987، ص37.

2- عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية، ص172-173.

3- جيرالد برنس، قاموس السرديات، تر: السيد إمام، ميريت للنشر والمعلومات، قاهرة، مصر، ط1، 2003، ص201.

4- حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي (الفضاء، الزمن، الشخصية)، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1990، ص107.

ذلك، أو ما بعده، فليس موجودا، وميشال بوتور يقول بوجود ثلاثة أزمنة متداخلة في الخطاب الروائي هي: زمن المغامرة، وزمن الكتابة، وزمن القراءة.[1]

في الأخير يمكننا القول إن الزمن هو الفترة التي تتحرك بواسطتها الأحداث، كما يعتبر أيضا العمود الفقري للرواية فلا وجود لعمل روائي بدون زمن.

أ- الصراع في الزمن بين الزمن الماضي والزمن الحاضر في الرواية:

يظهر الصراع في "كريسماس في مكة" بشكل واضح بين الماضي والحاضر، لأن معظم شخصيات الرواية كانت تعاني من ذكريات الماضي الأليم، ونبدأ مع أول صراع بين الماضي والحاضر عند "**مريم**" التي ستلتقي بماضيها الذي لا تعرف عنه شيئا، إذ نجدها تقول: "**الآن، ودون سابق إنذار، صار عليَّ أن ألتقي بجدي وعمي اللذين لا أذكرهما (...) لا أذكر الكثير عنهما. لا أذكر الكثير عن كل بغداد أصلاً. لم أكن صغيرة لدرجة أن لا أذكر شيئا عنها عندما تركناها (...)**

حتى أبي لا أذكره بالتفصيل، أذكره بشكل غائم...، كل ما أذكره بوضوح من بغداد هو بيت كبير شاهق أمامه حديقة كبيرة فيها أرجوحة بيضاء اللون تحت نخلة كبيرة (...)

(...) عندما عدت كانت أمي تبكي، ولم يكن أبي هناك. أدركت أن شيئاً ما قد حدث.

لا أذكر أي شيء بعدها، عدا كوني أنا وأمي في الطائرة. تجربة الطائرة لأول مرة لا تنسى. أمي كانت تبكي بحرقة، وهذا أيضا لا ينسى.

والآن عليَّ أن ألتقي بهذا الجزء الذي حُذف من حياتي، وفي رحلة يفترض أنها للدراسة".[2] فمريم هنا متخوفة من لقاء الماضي الذي لا تذكر عنه شيئاً وبسبب ما يحتويه من مأسٍ لأمها.

1- ينظر: محمد عزام، فضاء النص الروائي مقاربة بنيوية تكوينية في أدب نبيل سليمان، دار الحوار، اللاذقية سورية، ط1، 1996، ص121-122.

2- الرواية، ص15-16-17.

كما نجد الصراع بين الماضي والحاضر عند ميادة بارزا بقوة فهي عاشت ألماً كبيراً في الماضي من فقد ووجع وهرب، ويظهر ذلك في قولها: "**ما مررت به، بعد ما حدث لعمر، كان هو الذي أعاد صنعي من جديد. كل من عرفني قبل خروجي من بغداد، قبل مروري بما مررت به، يكون قد تعرف على ميادة أخرى تماما أكاد لا أعرفها حتى أنا اليوم. كنت بسيطة، هشة، ساذجة**".[1]

وتقول أيضا: "**لم يكن الأمر كما تعتقدين فقط لعدم رغبتي في الخوض في الماضي، كنت شخصا آخر يا مريم صدقيني، هذه السنوات في الغربة أنضجتني، كنت لا أزال أتصرف بطريقة طفولية عنيدة**".[2]

إذا فالقوة التي تحملها ميادة اليوم كانت بسبب ما مرت به من صراعات في الماضي فهي أصبحت مسؤولة وناضجة وتعرف ماذا تفعل ولا تفعل مقارنة بما كانت عليه في الماضي.

كما نجد "ميادة" في مقاطع عديدة وهي بين الصفا والمروة تتصارع مع ذكريات الماضي الأليم الذي لم تنسه ولا لحظة فهو يلاحقها حتى في حاضرها ومن هذه المقاطع قولها: "**بين الصفا والمروة، تذكرت ركضي بين مركز شرطة وآخر... تذكرت كل تلك المكالمات الهاتفية التي تبعث الأمل، وكل ذاك الانتظار لأيام سبعة بدت لي سبعة قرون. ثم..**

الخميس 7 تموز 2005

تتصل أمي قبل العصر. صوتها مختنق. ميثم لم يرد على هاتفه منذ ثلاث ساعات، حاولت تهدئتها رغم أن الأمر أقلقني أيضاً.

(...) قبل ظهر اليوم الثالث، وجدوه مرمياً في ساقية مع أخرين، كان رأسه مفصولا عن جسده. قطعوا لسانه"[3]

1- الرواية، ص20.

2- الرواية، ص105.

3- الرواية، ص155-156.

كما تسترجع: "**الأربعاء 22 شباط**

(...) اتصلت بعمر وكان موعد خفارته ينتهي في الثانية عشرة ظهراً، قال إنه يتأخر قليلاً لوجود عمليات طارئة.

حتى الرابعة لم يرجع إلى البيت. اتصلت به لم يرد... قررت أن أركب السيارة وأذهب إلى المستشفى بنفسي لعلي أصادف عمر في الطريق..."[1]

"في اليوم الثاني قررنا أنا وسعد أن نذهب إلى مراكز الشرطة...، كنت لا أزال أرتدي السواد على ميثم (...) في مراكز الشرطة قيل لنا أن نبحث في المستشفيات مباشرة (...)

ذهبنا نزيح الأغطية والبطانيات عن الجثث على الرصيف. لا أصدق أن هذا يحدث لي ولعمر. لا أصدق أني أبحث عن عمر بين الجثث على الرصيف. بكيت على جثث الرصيف تلك، وبكى سعد". [2]

"في اليوم التالي، عندما أعلنوا منع التجول، حرمت حتى من هذا الأمل. فقدت الجنين الذي كان في أحشائي، وكان دمه لا يزال ينزف بتقطع. كما لو ليذكرني بفقدانه. وكنت أفقد عمر أيضاً. كل ساعة كانت تمر كانت تقول لي عندما توعدني أنه قد ذهب كما تذهب هي، إلى غير رجعة".[3]

"كنت أبكي عمر من جديد كما لو أنني فقدته الآن، لكن هذه المرة كنت خارج القصة تماما...، عن كل ما عاناه في تلك الأيام، منذ ان خرج من المستشفى الساعة الثالثة يوم الأربعاء 22 شباط 2006 إلى أن تسلمناه بعد أسبوع، في الأول من آذار".[4]

1- الرواية، ص159-160.

2- الرواية، ص161-162.

3- الرواية، ص228.

4- الرواية، ص165-166.

وهكذا تعود بنا ميادة إلى ذلك الزمن المرير، زمن المعاناة النفسية والجسدية التي مرت بها ميادة، ومنه ظهر لنا الصراع بين الماضي والحاضر، الماضي صورته الذكريات والحاضر مثله زمن السرد والحكي.

ويرجع بنا سعد إلى الزمن الماضي الذي لم يبق منه شيء سوى المرارة والآلام التي حفرها في ذاكرته فيتذكر أن الناس جميعا ذهبوا وبقي وحده يتحمل مسؤولية والده المقعد، فيقول: "**وعندما حدث ما حدث لعمر، كنت قد أنهيت رسالة الدكتوراه قبلها بأشهر وأعددت أوراقي وأوراق سوسن للسفر، وكنا نؤمل بمستقبل مختلف.. فجأة وجدت كل شيء ينهار ووجدت نفسي وحدي المسؤول عن أمي وأبي، ثم أبي وحده (...)**

ثم ذهبت سوسن.

تكالب كل شيء عليَّ، وأكثر الأشياء مرارة في فمي كان ذلك الشعور بالفشل الذي كان يخنقني حرفيا، لم أحتمل فكرة أني انتهيت لأكون رجلاً في الأربعين من العمر، دون زوجة أو ذرية أو حتى أمل بذرية، يعيش مع والده شبه المقعد في منزل مساحته 800 متر مربع".[1] فهذه الذكريات لا تترك له راحة بال، شعوره بالعجز الذي يلاحقه حتى في حاضره بسبب أنه لم ينجب أولاداً.

ويتجسد الصراع بين زمنين الماضي والحاضر في ذكريات حيدر التي كانت تهاجمه في أحلامه، ويسترجع حيدر ذكرياته مع والده فيقول: "**منذ أشهر وأنا أرى أبي في المنام. مرات أراه كما أذكره في طفولتي، ومرات أراه وقد شاخ وكبر كما لو لم يحدث أني رأيته، أكثر المرات رأيته وقد أعطاني ظهره، وهو يسقي حديقة بيتنا في الكرادة، حاولت أن أقترب منه وأحدثه لكنه كان يدور بحيث لا أرى إلا ظهره، لم يكن يشيح بوجهه عني، كان يتجاهلني**".[2]

كما يسترجع: "**في الأربعاء التالي، 30 حزيران، اتصل بي خالي ليقول لي: البقية بحياتك. اللي خلف ما مات.**

لطمت يومها بأشد مما ضربني أبي طيلة حياته.

1- الرواية، ص82.

2- الرواية، ص87-88.

لم أزر قبره إلا بعد أكثر من عشر سنوات.

عندما ذهبت لأدفن أخي ميثم، عام 2005".[1]

"أرى نفسي أمام شباك الإمام الكاظم، قريب منه جدا حد الالتصاق، أسمع صوتاً يقول في أذني: سلم على جدك حيدر، ألتفت لمصدر الصوت لكني لا أرى أحداً، عشرات الناس يدورون حول الشباك، أعرف الصوت، هذا صوت أبي، لكني لا أراه.

أدور حول الشباك، بين جدي في مرقده خلف الشباك، وبين أبي بين الجموع، لا أرى أيا منهما، لكني أسمع صوت أبي يردد ويطلب مني أن أردد خلفه الدعاء الذي يقرأه من كتيب. أدور بوجهي أبحث عن أبي، لا أجده، يخيل لي أني أرى أمي، أركض لها، ليست هي، كل النسوة يرتدين عباءة سوداء كالتي ترتديها...، أصيح باسمها واسم أبي. لا أسمع صوتي. أسمع صوت بكائي فقط. وضجيج زوار الإمام.

هل تذكرين عندما كنت صغيراً، وذهبت مع أمي وأبي إلى الإمام الكاظم وضعت هناك؟

(...)

قلت لها: حلمت الآن بهذا، حلمت عندما ضعت هناك".[2]

فحيدر في صراع بين الماضي والحاضر، لأنه لم يحضر دفن والده في الماضي، فحيدر يشعر بتأنيب الضمير حتى أصبح والده يظهر له في المنام، وحيدر يظن بأن والده غاضب منه ويأتي له في الحلم لأنه لم يحضر يوم وفاته وأن ما يحدث له بسبب ما فعله لوالده. فهذه الذكريات الماضية لا تجعله يعيش في هناء في حاضره.

كما نجد صراعا أخر بين الماضي والحاضر وهذه المرة عند شخصية والد سعد الذي ما زال عالقا في الزمن الماضي بالرغم أنه يعيش في الحاضر، ويظهر ذلك في: "**أبي ماذا حدث؟ ما الذي تبحث عنه؟**

(...)

1- الرواية، ص94.

2- الرواية، ص114-115.

قال: أبحث عن عيون عمر.. عيون عمر.. لا بد أنها موجودة في مكان ما.[1]

يوم قيل لنا أن نستلم عمر من الطب العدلي قرب مدينة الطب، قيل لنا أيضا أن لا يذهب أحد من رجال أسرته. هناك من يتصيد عند الطب العدلي (...)

أصر عمو على المجيء. لم يكترث لما قيل من تحذيرات... دخلت وعمي نبحث بين الجثث. بعضها كان يحمل بطاقة باسم المتوفى إذا كان قد عرف عبر هوية يحملها (...) وجدت جثة مكتوب عليها عمر أحمد عبد الرحمن بكر، طبيب. خلف السدة.[2]

قال عمي: لا ليس هو. ليس وجهه.

(...)

أرجعته على ظهره وتأملت الوجه. نزعت الإيشارب من رأسي وأخذت أمسح الدم المتجمع على الوجه لعلي أجد شخصاً آخر وينتهي هذا الكابوس.

مسحت الدم. لم أفهم ماذا رأيت. كان مكان العينين فارغاً.

شالعين[3] **عينه. شالعين عينه، ارتفع صوتي وأنا أقولها وأكررها.**

(...)

سمعت صوت عمي وهو يقول للموظف: هل رأيتم عينيه؟".[4]

من خلال المقطع السابق يتضح لنا أن والد سعد في صراع مع الماضي بالرغم أنه يعيش في الحاضر لكن عقله في الماضي الذي فقد فيه ابنه عمر، وحين يستفيق يتشوش عقله ويصبح يبحث عن عمر أو أشياء تخصه كما في المقطع السابق يبحث عن عيني عمر التي فقدها في زمن بعيد.

ونلمس أيضا صراعا بين زمن الماضي والحاضر عند والد سعد الذي يحن إلى الماضي ويبحث عن المجد الضائع، من خلال تقمسه لشخصية أحمد المستنصر بالله خليفة

1- الرواية، ص262.

2- الرواية، ص264.

3- شالعين: معناها خالعين أو نازعين.

4- الرواية، ص265-266.

عباسي. ويظهر ذلك على لسان سعد: "**أبي كان مهتما بشخصية وسيرة أحمد المستنصر بالله وهو أحد أمراء العباسيين، وكان قد نجا من مذبحة التتار.. هو عم الخليفة المستعصم الذي قتله المغول عندما احتلوا بغداد (...)**

البحث عن المجد الضائع والحنين إلى الماضي.

(...) كان والدي مهتما جدا بهذه الفترة (...) وعندما بدأ الألزهايمر يزيد عنده بدأ يتحدث أحياناً كما لو أنه هو أحمد المستنصر بالله (...)[1]

(...) ربما كلاهما كانا يبحثان عن زمن ضائع، عن بغداد أخرى يعتقدان أنهما يمكن أن يستعيداها دون تغيير..

فكرت مع نفسي: ربما كان أبي يرى أن أحمد المستنصر بالله يمثل الكثيرين منا، التمسك بالمجد الضائع والتصور أن بإمكاننا تحويل عجلة الزمن للخلف. الكثيرون منا يعيشون في الماضي ويعتقدون أنهم يستطيعون أن يسحبوه إلى الحاضر".[2] فوالد سعد يمثل الناس التي لا تزال عالقة في الماضي ومتمسكة بأشياء ضائعة ويظنون أنهم يستطيعون تغير الزمن إرجاع ما مضى.

في الأخير يمكننا القول إن رواية "كريسماس في مكة" مليئة بالاسترجاعات الحزينة، كما نلاحظ أن عائلة مريم كلها في صراع مع الماضي الأليم والذي ترك فيهم جراحاً كبيرة رغم شفائها إلا أن أثارها لا تزال بارزة وتذكرهم بالماضي المرير الذي عاشوه.

ب- الصراع الزمن بين زمن الماضي وزمن المستقبل:

لم يكن هذا الصراع حاضراً بقوة في الرواية مثل الصراع السابق، إذ لم نجد إلا الشيء القليل وذلك بسبب سيطرة الماضي على حاضر الشخصيات، ويحضر الصراع بين الزمنين الماضي والمستقبل، عندما يتذكر سعد أنه سيلتقي بميادة التي لم تستلطفه يوما، ونجد ذلك في قوله: "**لست متأكدا أني نفس الشخص الذي كانت ميادة تكرهه قبل عشرين عاماً.. لكن هل ميادة لا تزال نفس الشخص؟ هل ستعي أنني تغيرت؟ هل ستحضر**

1- الرواية، ص321.

2- الرواية، ص322.

معها عقدها إلى مكة وتعيد نفس القصة؟ أم أن مجرد التفكير بالذهاب للعمرة ودعوتي وأبي للذهاب يعكس أنها تغيرت".[1] من خلال هذه الأسطر يتضح لنا أن سعداً متخوف من لقاء ميادة بعد عشرين سنة ويجدها هي نفس الشخص الذي كانت عليه قبل 20 عاماً.

كما يظهر صراع الماضي والمستقبل في المقطع الآتي: "**واحدة مثلي، مرت بما مررت به، لا بد أن تقلق جدا عندما ترى ابنتها وهي تبالغ في الثقة بالنفس. أعرف أنه عالم مختلف تماماً عن ذاك الذي تحكمت فيه أنا فيه تحطمت فيه أحلامي وأنفي، وأعرف أن أحلام مريم ليست بسذاجة أحلامي وأحلام بنات ثانوية العقيدة في بغداد التسعينات، لكن عليَّ أن أُحصن مريم أكثر، عليَّ أن أمنع تماماً لأي احتمالية لكسرها**".[2]

فميادة خائفة على مستقبل ابنتها انطلاقا مما عاشته في الماضي وما مرت به من صعاب، لكن الزمن الذي تعيش فيه مريم غير الزمن الذي عاشته ميادة.

بالرغم من قلة الصراع بين الزمن الماضي والمستقبل إلا أن الاسترجاعات فيه تمثل حالة من التأهب والاستعداد لما هو أت في المستقبل.

2. الصراع في المكان:

إذا كان من الأنسب أن لا تجرد الرواية من الزمن، فكذلك لا يمكن تصور الرواية بلا مكان على اختلاف وتباين بين الأنواع القصصية، كما يعد المكان من المكونات الأساسية التي تشكل بنية الخطاب الروائي. "فالمساحة التي تقع فيها الأحداث والتي تفصل الشخصيات بعضها عن البعض بالإضافة إلى المساحة التي تفصل بين القارئ وعالم الرواية لها دور أساسي في تشكيل النص الروائي، فالقارئ بالإمساك بهذا المجلد ينتقل من موضعه إلى عوالم شتى، إلى روسيا تولستوي، إلى باريس بلزاك، إلى قاهرة محفوظ، إلى عالم خيالي من صنع كلمات الروائي نفسه. فالرواية رحلة في الزمان والمكان على حد سواء".[3]

1- الرواية، ص57.

2- الرواية، ص22-23.

3- سيزا قاسم، بناء الرواية، دراسة مقارنة في "ثلاثية" نجيب محفوظ، ص103.

وقبل الدخول في الحديث عن صراع المكان في رواية "كريسماس في مكة" وجب علينا الوقوف على مفهوم المكان باعتباره عنصراً فعالاً تتجسد فيه أحداث الرواية. وتعددت تعاريفات المكان بتعدد وجهات نظر الدارسين نذكر منها:

يعرفه (جيرالد برنس) هو "الأمكنة التي تقع فيها الأحداث المعروضة".[1]

كما يعرفه (ياسين النصير) بأنه الكيان الاجتماعي الذي يحتوي على خلاصة التفاعل بين الإنسان ومجتمعه، منذ القدم وحتى الوقت الحاضر كان المكان هو القرطاس المرئي والقريب الذي سجل الإنسان عليه ثقافته وفكره وفنونه، ومخاوفه وآماله، وأسراره، فالمكان في العمل الفني شخصية متماسكة، وهو الجغرافية الخلاقة في العمل الفني إذا كانت الرؤية السابقة له محددة باحتوائه على الأحداث الجارية، فهو الآن جزء من الحدث وخاضع خضوعا كليا له.[2] فالمكان هنا يرتبط بالأحداث والشخصيات ارتباطا وثيقا فهو الذي يحمل الأحداث التي تتفاعل فيها الشخصيات داخل العمل السردي.

كما يقول (حميد لحمداني) في مفهوم المكان: "طبيعي أن أي حدث لا يمكن أن يتصور وقوعه إلا ضمن إطار مكاني معين، لذلك فالروائي دائم الحاجة إلى التأطير المكاني غير أن درجة هذا التأطير وقيمته تختلفان من رواية إلى أخرى، وغالبا يأتي وصف الأمكنة في الروايات الواقعية مهيمنا بحيث نراه يتصدر الحكي في معظم الأحيان ولعل هذا ما جعل (هنري متران) يعتبر المكان هو الذي يؤسس الحكي لأنه يجعل القصة المتخيلة ذات مظهر مماثل لمظهر الحقيقة".[3] فالروائي مجبر على تحديد الإطار المكاني للرواية لكن يختلف هذا التحديد من رواية إلى أخرى، فالمكان عنصر هام في السرد الروائي فهو يكسب الرواية المتخيلة سمة شبيهة بالواقع.

1- جيرالد برنس، قاموس السرديات، تر: السيد إمام، ص182.

2- ينظر: ياسين النصير، المكان والرواية، دار الشؤون الثقافية، بغداد، العراق، د.ط، ص16-17-18.

3- حميد لحمداني، بنية النص السردي (من منظور النقد الأدبي)، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنا، ط1، 1991، ص65.

وينظر (حسين بحراوي) للمكان على أنه "لا يعيش منعزلا عن باقي عناصر السرد وإنما يدخل في علاقات متعددة مع المكونات الحكائية الأخرى للسرد كالشخصيات والأحداث والرؤيات السردية".[1]

كما أن هناك بعض المصطلحات التي تتداخل مع المكان مثل (الفضاء والحيز) فهناك من يسميه حيز والآخر يسميه فضاء، ومنهم من يطلق عليه مكان.

ومن الدارسين الذين تبنوا مصطلح الفضاء بدلا من المكان (حميد لحمداني) الذي يرى "أن مجموع هذه الأمكنة هو ما يبدو منطقيا أن تطلق عليه اسم فضاء لأن الفضاء أشمل وأوسع من معنى المكان بهذا هو مكون للفضاء وما دامت الأمكنة في الروايات غالبا ما تكون متعددة ومتفاوتة، فإن فضاء الرواية هو الذي يلفها جميعا، إنه العالم الواسع الذي يشمل مجموع الأحداث الروائية".[2] فـ(حميد لحمداني) يرى بأن الفضاء أوسع وأشمل من المكان، وهو المصطلح الأنسب لاحتواء الدلالة في السرد.

كما يرى (حسن بحراوي) "أنه يمكننا النظر إلى المكان بوصفه شبكة من العلاقات والرؤيات ووجهات النظر التي تتضامن مع بعضها بعض لتشييد الفضاء الروائي، الذي ستجري في الأحداث".[3] فالمكان هو الذي يشكل الفضاء الروائي.

وممن ذهبوا إلى مصطلح الحيز نجد (عبد الملك مرتاض) في قوله: "إذا كان للمكان حدود تحده ونهاية ينتهي إليها، فإن الحيز لا حدود له ولا انتهاء، فهو المجال الفسيح الذي يتبارى في مُضْطرَبِه كتاب الرواية... ولا يجوز لأي عمل سردي (حكاية–خرافة–قصة–رواية) أن يضطرب بمعزل عن الحيز الذي هو عنصر مركزي في تشكيل العمل الروائي حيث يمكن ربطه بالشخصية واللغة والحدث ربطا عضويا".[4] فـ(عبد الملك مرتاض) يرى

1– حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي (الفضاء، الزمن، الشخصية)، ص26.
2– حميد لحمداني، بنية النص السردي (من منظور النقد الأدبي)، ص63.
3– حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي (الفضاء، الزمن، الشخصية)، ص32.
4– عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية، ص125.

بأن الحيز هو الذي ليس له حدود ولا نهاية عكس المكان الذي لديه حدود تحده ونهاية، ولا يمكن لأي عمل سردي أن يعمل بمعزل عن الحيز لأنه عنصر أساسي في بناء العمل.

على العموم كانت هذه بعض التعريفات للمصطلحات الثلاثة (الفضاء والمكان والحيز)، وكلها تقريبا تصب في معنى واحد وهو ارتباطها بالشخصيات والأحداث التي تتفاعل في داخلها، لكن في بحثنا هذا ارتأينا أن نلتزم بمصطلح المكان وذلك لانتشاره وشيوعه أكثر من المصطلحات الأخرى.

وإذا كان المكان هو الموقع الذي تقع فيه الأحداث وتتفاعل معه الشخصيات، فمن الطبيعي أن يرتبط المكان بالصراع أو يساهم في الصراع، سواء كان صراع الشخصيات داخل المكان، أو صراع الشخصية مع المكان في حذ ذاته، وقد يكون الصراع بين الأمكنة فيما بينها؛ أي صراع الأماكن المغلقة مع المفتوحة والعكس أو صراع المكان المتخيل مع المكان الحقيقي، كما يمكن أن ينتج صراع أيديولوجي حول المكان.

وكان ظهور الصراع في الأمكنة قليل في روايتنا مقارنة بظهوره في الشخصيات والزمان، وبهذا يمكننا طرح السؤال المتمثل في كيف أثر المكان في الصراع؟ أو كيف يسهم المكان في ظهور الصراع؟

وللإجابة عن الأسئلة وجب علينا تصنيف الصراع داخل الأمكنة المغلقة والمفتوحة.

أ- الأماكن المغلقة:

هي "مكان العيش السكن الذي يؤوي الإنسان، ويبقى فيه فترات طويلة من الزمن سواء بإرادته أو بإرادة الآخرين، لذا فهو المكان المؤطر بالحدود الهندسية والجغرافية، ويبقى الصراع بين المكان ويبرز الصراع الدائم بين المكان كعنصر فني بين الإنسان الساكن فيه، ولا يتوقف هذا الصراع إلاّ إذا بدأ التآلف يتضح أو يتحقق بين الإنسان والمكان الذي يقطنه".[1] تمثل الأمكنة المغلقة أماكن الإقامة وأماكن الخصوصية وقد ينتج عن هذا المكان صراع بينه وبين ساكنه وينتهي هذا الصراع عندما يألف قاطنه المكان.

1- قصي جاسم أحمد الجبوري، المكان في روايات تحسين كرمياني، رسالة ماجستير في اللغة العربية وآدابها، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة آل البيت 2015، ص95-96.

وهذه الأماكن المغلقة "مليئة بالأفكار والذكريات والآمال والترقب حتى الخوف والتوجس، فالأماكن المغلقة مادياً واجتماعياً تولد المشاعر المتناقضة المتضاربة في النفس وتخلق لدى الإنسان صراعاً داخلياً بين الرغبات وبين الواقع، وتوحي بالراحة والأمان وفي الوقت نفسه لا يخلق الأمر بمشاعر الضيق والخوف".[1] فمن خلال الأماكن المغلقة يمكننا التعرف على الحياة الداخلية للشخصيات كالذكريات والآمال والخوف...

ب- الأماكن المفتوحة:

المكان المفتوح هو "المكان الذي يتردد عليه الفرد من دون قيد أو شرط مع عدم الإخلال بالعرف الاجتماعي أي ممارسة سلوك غير سوي يرفضه المجتمع كالسرقة والعدوانية، وهو عنصر أساس تتحرك من خلاله الشخصيات الروائية، فضلاً عن كونه عضيد الزمن الذي يتعامل معه الكاتب".[2]

وتكون هذه الأماكن "مفتوحة على الخارج، أماكن اتصال وحركة حيث يتجلى فيها بوضوح الانتقال والحركة، وتقسم إلى مفتوح خاص وعام، إذ تمثل هذه المجموعة كل أماكن الانتقال، وهي بالطبع كل الأماكن المعادية لأماكن الإقامة، والتي تتسلل معها أقساماً جدليا بين الداخل والخارج وإن كانت في حد ذاتها متفرعة".[3] وتكون هذه الأماكن "مسرحاً لحركة الشخصيات وتنقلاتها وتمثل الفضاءات التي تجد فيها الشخصيات نفسها كلما غادرت أماكن إقامتها الثابتة، مثل الشوارع والأحياء والمحطات، وأماكن لقاء الناس خارج بيوتهم كالمحلات والمقاهي".[4]

والأمكنة المفتوحة عادة ما تحاول البحث في التحولات الحاصلة في المجتمع، وفي العلاقات الإنسانية الاجتماعية ومدى تفاعلها مع المكان. وفضاء هذه الأمكنة قد يكشف عن الصراع الدائم بين هذه الأمكنة بوصفها عناصر فنية، وبين الإنسان

1- قصي جاسم أحمد الجبوري، المكان في روايات تحسين كرمياني، ص96.

2- المرجع نفسه، ص92.

3- سعاد، دحماني، دلالة المكان في ثلاثية نجيب محفوظ، رسالة ماجستير، كلية الآداب واللغات، جامعة الجزائر، 2008، ص88.

4- حسين بحراوي، (مرجع سابق)، ص40.

الموجود فيها، فقد تحقق هذه الأماكن للإنسان المودة والحب، كالحي الشعبي، ومنها ما يحمله الحياة والموت والإرادة والسمو والفشل والخيبة، ورغم ذلك فهو مكان إيجابي للإنسان كالبحر، ومنها ما يكون بفضائه اغتراباً وضياعاً للإنسان، وبالتالي فهو مكان سلبي كالمدينة.[1]

رغم قلة ظهور الصراع في المكان في رواية "كريسماس في مكة" عكس ظهوره في الشخصيات والزمان، غير أنه يمكننا أن نستخرج الأماكن التي جسدت لنا الصراع في الرواية. وفي دراستنا للصراع في المكان لم نعتمد على تقسيم معين للأمكنة بل فضلنا أن نذكر الأماكن التي حدثت فيها الصراعات كل مكان على حدة، ثم تبيان إذا ما كان مكانا مفتوحا أو مغلقا على حسب أثره على الشخصيات.

ومن الأمكنة التي احتوت على صراع الشخصيات؛ سواء صراعها مع بعضها أو مع نفسها أو صراعها مع المكان نذكر:

- **العراق (بغداد):**

هي المكان الذي ولدت فيه العائلة وتربت فيه معظم الشخصيات (ميادة، مريم حيدر، سعد...)، والذي من المفترض أن تكون العراق المكان الذي تشعر فيه العائلة بالأمان والاطمئنان بدل الخوف والرعب، لكن في الرواية شكلت العراق عكس ذلك، فهي تمثل بؤرة الصراع في الرواية بشتى أنوعه سواء النفسي أو الاجتماعي أو الطائفي أو السياسي... فالعراق أصبحت تشكل عقدة للشخصيات وخاصة شخصية **ميادة**، التي عانت فيها أكثر من أي شخصية أخرى في الرواية، فميادة تنظر إلى العراق على أنها بلد ظالم أخذ منها زوجها وعائلتها وسلبها أحلامها التي كانت تطمح إلى تحقيقها مع زوجها، ونجد ذلك في قولها: "**فلن يمكنك أن تتخيلي كيف كان الأمر في بغداد عندما قتل أبوك، وكيف كان الأمر بالنسبة لي فجأة أصبحت وحيدة ومسؤولة عنك بعدما كان أبوك يفعل كل شيء**".[2]

1- ينظر: عبيدي مهدي، جماليات المكان في ثلاثية حنا مينة (حكاية بحار – الدقل – المرفأ البعيد)، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق سورية، 2011، ص95.

2- الرواية، ص76.

وتضيف قائلة: "**ما حدث في بغداد بقي جرحا ينزف في داخلي موس عالق في بلعومي. لا أستطيع أن أخرجه، ولا أستطيع أن أبتلعه**".[1]

فميادة تعاني من صراع نفسي بسبب ما مرت به في العراق كما أنها في صراع مع المكان فهي لا تريد العودة إليه إطلاقا ويظهر ذلك في قولها: "**كان هذا أول مطار لي في الشرق الأوسط منذ أن غادرت عمان قبل اثنتي عشرة سنة وأنا أرملة للتو ومعي ابنتي ذات السبع سنوات. يومها أقسمت ألا أخطو بقدمي على أي مطار في هذه المنطقة بأسرها وها أنا أحنث اليوم بقسمي**".[2]

كما نجدها في حوار مع سعد حول بغداد. "**سألتها هل تشتاقين لبغداد؟**

تغيرت ملامحها فوراً وأبعدت عينيها عني: أي بغداد؟ بغداد التي قُتل فيها عمر وميثم؟ لا، لا أشتاق لها، أشتاق لبغداد أخرى، لكنها لم تعد موجودة ذهبت مع الذين ذهبوا".[3]

من خلال هذه المقاطع نلاحظ أن المكان فقد صفة الأمان، وهذا لأنه زرع في نفس ميادة الخوف، فهي تحس أنه مصدر خطر عليها وعلى ابنتها.

كما تطرق الكاتب إلى الصراع داخل الأمكنة في الرواية، ألا وهو الصراع الطائفي الذي حدث في العراق بين الشيعة والسنة بسبب الفتنة، ويظهر ذلك في الرواية: "**حوادث القتل على الهوية استمرت بالازدياد، كل يوم كان هناك ثابت في الأخبار: العثور على 40 جثة مجهولة الهوية. أحيانا أكثر. الكثير من الجثث كانت تحمل أسماء واضحة الانتماء الطائفي. عمر على رأسها من جهة السنة. حيدر.. أو سجاد.. أو عبد الحسين، من جهة الشيعة**".[4]

1- الرواية، ص76.

2- الرواية، ص124.

3- الرواية، ص186.

4- الرواية، ص157.

ووظف الكاتب في الرواية أيضاً قصة تاريخية متمثلة في سقوط بغداد على يد التتار في فترة الخلافة العباسية، فنجد فيها أيضا صراعاً بين بغداد والتتار من أجل السيطرة على المكان ويظهر ذلك على لسان السارد، "**التتار يحاصرون بغداد مولاي**".[1]

ويضيف قائلا: "**في اليوم الثاني بدأنا نسمع أصوات استغاثات وعويل، كان الأمر لا يشبه صوت معركة فيها خيول وسيوف، بل كان شيئاً آخر**".[2]

"**عندما تحدث إسحاق عن وجود تلال وأكوام من الجثث والرؤوس المقطوعة، حسبته يبالغ. لم أشك بوجود عدد كبير من الجثث في الشوارع، لكن ما رأيته كان مختلفاً تماماً**".[3]

إذا فبغداد تمثل عاصمة الحضارة العربية قديما، وكانت مطمعا لكل الأعداء الذين يريدون سقوط الحضارة العربية، وبتحطيم العراق فإنهم يحطمون الحضارة العربية، فالروائي هنا صور لنا الصراعات التي عاشتها العراق منذ القديم إلى يومنا هذا، وأثرها السلبي على شخصيات الرواية لأنها فرقتهم غربتهم عن وطنهم، وحطمتهم داخليا وخارجيا.

والعراق في الرواية هي مكان مفتوح فهو لم يعتبر مكانا دائما لشخصيات الرواية خاصة ميادة التي هاجرته دون رجعة، فقد حدثت في هذا المكان (العراق) عدة أحداث محورية في الرواية كدخول التتار والهجوم عليها والحرب الطائفية ودخول الغرب عليها...

- **بريطانيا (ميدلزبره):**

هي المكان الذي هاجرت إليه معظم شخصيات الرواية (ميادة، مريم، حيدر)، ومن المفترض أن تشكل لهم الملجأ المأوى الذي ينقذهم من الدمار الذي عاشوه في بغداد. لكن المكان أنشأ في داخلهم شعوراً آخر وهو الغربة والبعد ويظهر ذلك جليا في شخصية حيدر الذي يشعر بالغربة والبعد لأنه لم يستطع حضور جنازة والده وتوديعه في بغداد بسبب أمور

1- الرواية، ص37.

2- الرواية، ص 42.

3- الرواية، ص97.

احترازية في ذلك الوقت، مما ولد في نفسه صراعاً وتأنيبا لضميره، ونلمس ذلك من خلال قوله: "**لثلاثين عاما في بريطانيا لم أشعر بالغربة التي أشعر بها اليوم**".[1]

ونجد ذلك في حوار له مع طبيبته: "**في المرة السابقة أخبرتني أنك عندما كان أبوك على فراش الموت لم تستطع الذهاب إلى إيران.**

قاطعتها بحدة: العراق! العراق وليس إيران!!".[2]

ويستحضر لنا الحيدر أياماً قبل وفاة والده: "**تذكرت تلك الأيام العشرة التي سبقت وفاة أبي.**

19 حزيران 1993، السبت (...)

سمعت صوت أمي على الطرف الآخر، منذ أكثر من أربعة أشهر لم أسمعه (...) أبوك يمه حيدر بالإنعاش من ثلاث أيام.

ثم انفجرت باكية".[3]

ويضيف على ذلك "**كنت أفكر في الوقت نفسه أن كل مكاتب حجز الطيران مغلقة لأنه السبت، لكني أستطيع أن أكون خلال بضع ساعات في هيثرو، إذا كنت محظوظاً سأجد حجزاً على الملكية الأردنية التي تنطلق عند منتصف الليل، غدا صباحاً أكون في عمان، ظهر الإثنين أكون في بغداد.**

خطفت أمي الهاتف من ميادة وهي تقول كما لو أن قلبها أخبرها بما أفكر به: وِداعة أبوك الذي بين الحياة والموت في المستشفى، لا تجي، يحبسوك حبيبي إذا جيت (...)

في الأربعاء التالي، 30 حزيران، اتصل بي خالي ليقول لي: البقية بحياتك. اللي خلف ما مات.

لطمت يومها بأشد مما ضربني أبي طيلة حياته.

1- الرواية، ص34.

2- الرواية، ص90.

3- الرواية، ص91.

لم أزر قبره إلا بعد أكثر من عشر سنوات".[1]

فهذه الذكرى بقيت محفورة في ذاكرة حيدر، وشكلت له صراعاً بين ماضيه وحاضره، فهو في صراع نفسي.

وعلى العموم فإن بريطانيا في الرواية مكان مفتوح، كما أنه مثل مكان انتقال بعض شخصيات الرواية له مثل ميادة، ومريم، وحيدر، وذلك من أجل الهروب من المعاناة والحروب التي كانت في بلدهم.

- **مكة:**

تمثل مكة في الرواية مكان لم شمل للعائلة التي فرقتها الحرب ولقضاء إجازة الكريسماس مع العائلة، لكن هذا المكان يعيد لبعض الشخصيات ذكريات أليمة مضت عليها سنوات عديدة، فتحدث صراعات داخل الشخصيات نفسها أو فيما بينها، نجد ذلك عند حيدر الذي لم يشعر براحة وهدوء المكان الذي هو فيه عكس الناس ويظهر ذلك في قوله: "**خطوات بعد خروجنا من الفندق كنا في الحرم المكي، الساحة واسعة رخامية بيضاء، يفترض أن تشعر بالهدوء والسكينة، لكني لم أشعر بهما، كان منظر سعد وهو يدفع أبيه على الكرسي مستفزاً جداً لي**".[2]

ونجده يقول أيضا: "**ضمن الدعاء كتب (أن يذكر حاجته كذا وكذا).. كذا وكذا؟ كيف ألخص الأمر بكذا وكذا؟ بل كيف أصلاً سأجد الشجاعة لأقول ما يجب عليَّ أن أقوله.. يعرف كل شيء، سبحانه، لكن كيف أقول هذا بلساني عنده.**

جاء وفد من معتمرين أفارقة، يتجهون إلى الحجر الأسود، كنت على بعد أمتار فقط، أخذوني معهم كموجة جارفة لا يقف أمامها شيء، حاولت المقاومة، لم أكن أستطيع أن أقترب منه أكثر وأنا محمل بعاري هكذا، لست مستعدا لذلك، ربما لن أكون مستعداً أبداً، لكن مقاومتي لم تُجد، وجدت نفسي فجأة أرتطم بشيء صلب. إنه جدار الكعبة. أنا أمسك ستارها بيدي.

1- الرواية، ص94.

2- الرواية، ص138.

وجدت نفس أهمس: سارة يا رب، سارة حامل من صديقها، ولا تنوي الزواج (...) أحمل عاري، أحمل الثمن الباهظ الذي دفعته والذي لم يخطر في ذهني سابقا، أنت تعرف أني أتعذب، وأن ما بيدي حيلة... يا رب، لا أعرف ماذا أريد بالضبط.. ساعدني فقط.. حتى التنفس أصبح شاقاً.. ساعدني يا رب".[1]

بالرغم من أن حيدر جاء إلى مكة هربا من الواقع الذي يعيشه في بريطانيا بسبب ابنته، إلا أنه يرى بأنه غير مخول للتواجد في هذا مثل هذا المكان الطاهر بسبب العار الذي يحمله معه، فهو في صراع نفسي لأنه لا يستطع مواجهة نفسه ولا يمكنه أن يقابل الله وهو محمل بعار ابنته وأن يحكيه في هذا المكان فهو يرى بأنه الوحيد هنا الذي يحمل عارا مثل هذا.

ويظهر سعد أيضا هو الآخر وهو في السعي بين الصفا والمروة يتذكر عندما كان مع زوجته سوسن يخططان أن يكون لهما بنتان اسمهما صفا ومروة لكن قدر الله لم ينجب سعد، ونلمح ذلك في قوله: "**في كل شوط من أشواط السعي بين الصفا والمروة، ما كان لي أن أنسى سوسن.**

في بداية زواجنا، كانت تقول لي: أريد أن يكون لي بنتان، صفا ومروة.

كنت أضحك وأقول لها: أريد أن أفتتح بذكر. أريد أن أسميه وقاص.

لم يكتب الله لنا أيا منهم. لا وقاص، ولا صفا ولا مروة. ولا حتى جنين عابر. ولا حتى حمل خارج الرحم. لا شيء".[2]

ويقول أيضا: "**في السعي بين الصفا والمروة، ما كان يمكن أن أهرب من هذا كله. من بنتين لم أستطع أن أنجبهما، من ذلك السعي بين أحلام عالية لم تتحقق وبين واقع مرير محبط".**[3] ويظهر الصراع هنا من خلال تصادم الذكريات في ذاكرة سعد فالمكان الذي

1- الرواية، ص140-141.

2- الرواية، ص148-149.

3- الرواية، ص150.

هو فيه ذكره ببنتين لم يستطع إنجابهما وذكره أيضا بأنه عاجز وأن سعيه وراء الأحلام لم ينجح وواقعه الأليم الذي عاشه.

كما نجد مريم هي الأخرى في صراع مع المكان، لا يمكن أن نسميه صراعاً بمعنى الكلمة أنما هو صراع أيديولوجي وهو أن لديها نظرة وأفكار مسبقة ورثتها من الغرب على مكة لكن عند دخولها إلى مكة تندهش مريم من هول المشهد الذي أمامها ويظهر ذلك في قولها: "**لم بكن يقف توقعاتي عن مكة مرتفعا أيضاً، إذ قرأت أن عمارتها الجديدة خالية من الروحانية، وكان هناك حديث عن «إن كنت تبحث عن الله فلن تجده في مكة...» وأشياء شعرية كهذه، لكن هذا الأمر لم يزعجني، فكرت بيني وبين نفسي أن هذا قد يكون تبريرا مناسباً لعدم شعوري بالروحانية، الخلل ليس فيَّ أو في مشاعري أو في مجسات استقبالي، الخلل في البنايات الشاهقة ونمطها المعماري، يمكننا أن نلومها على ذلك براحة ضمير**".[1]

وتضيف قائلة: "**وجدت الكعبة أمامي. كان مشهداً يأخذ الأنفاس. لم أفهم هذا الجمال. لم أفهم لماذا هو جميل هكذا. أفهم جمال الطبيعة، البحر، الغابات (...) أفهم أن يتأثر المؤمنون بهذا المشهد، فهذا جزء من إيمانهم، لكن كيف يحدث هذا معي؟ ليس لديَّ هذا الرصيد من العاطفة الذي يجعلني أتحسس لهذا المشهد.**

(...)

فلتت مني جملة: بحق يسوع المسيح، المشهد فعلا واو".[2]

وتضيف أيضا: "**أجد نفسي بالتدريج أشبه الجميع، كل الذين يطوفون حول الكعبة، نشبه بعضنا جداً، كبرت وأنا أعتبر أن عليَّ أن أكون فرداً متميزاً مختلفا عن الباقين، لكن ها أنا أراقب نفسي بهدوء وأنا أشبه الجميع والجميع يشبهني، الأمر ليس سيئا كما توقعت**".[3]

1- الرواية، ص133.

2- الرواية، ص134.

3- الرواية، ص171.

"**لكن يبدو أن مكة هي المكان الذي تقلب فيه التوقعات**".[1]

نلاحظ من المقاطع السابقة أن ميادة في صراع أيديولوجي حول مكة فهي تحمل صورة جاهزة عن مكة من الفكر الغربي الذي نشأت فيه وتشربت من أفكاره، ومجيئها إلى مكة لم يكن بغرض العمرة بل كان بغرض الدراسة وإنجاز مشروع تخرجها، لكن ما إن وضعت قدمها على المكان وهي تشعر بإحساس غريب في داخلها يجذبها إلى المكان ولم تعرف ما هو الشيء الذي يجذبها أهو المكان في حذ ذاته، أم هو الخشوع، أم اللون الأسود للكعبة...، أسئلة كثيرة طرحتها على نفسها وهيا تحاول تفسير هذا الانجذاب إلى المكان، كما نجد أن الصورة الجاهزة قد تغيرت، وأصبحت تنظر لها على أنها مكان تقلب فيه التوقعات.

كما نجد صراعا آخر وهذا الصراع يشرح لنا عنوان روايتنا الموسوم بـ "كريسماس في مكة" عندما تقرر مريم الاحتفال بالكريسماس مع عائلتها في مكة، ويظهر ذلك في الرواية على لسان إحدى الشخصيات: "**أطفأت الأضواء. كانت النتيجة رائعة بصرياً. شجرة الكريسماس على الستارة الشفافة، وخلفها الكعبة متلألئة بأنوارها، أنوار الحرم المحيطة بالكعبة وأنوار الجبال في مكة اختلطت مع زينة الشجرة**".[2]

"**ذهب عمي إلى الستارة.. قال: أنظروا.. الشجرة مجرد خيال.. الكعبة حقيقة.. بمجرد فتح الستارة.. يذهب الخيال.**

فتح عمي الستارة فاختفت الشجرة.

أترون؟ قال منتصراً.

رد خالي: نعم.. أرى بيت الله مضاءٌ بأجهزة صنعها أصحاب الشجرة التي تقول إنها مجرد خيال..

اعترض عمي: لا.. هذه القبلة.. لا شيء يجب أن يتداخل معها، لا الكريسماس ولا أي شيء آخر..

1- الرواية، ص173.

2- الرواية، ص268.

اقترب عمي من جهاز العارض وغير اتجاهه إلى الحائط. أصبحت شجرة الكريسماس على الحائط.

قال: هكذا أفضل، على الأقل نزيح التداخل لست مع شجرة الكريسماس بكل الأحوال، لا تعني لي شيئاً في ثقافتي، ولكن وجودها هناك على الستارة كان مزعجاً لأكثر".[1]

نلاحظ أن الصراع السابق صراع عقائدي وثقافي في الوقت نفسه، فالكريسماس عيد يخص الديانة المسيحية، أما مكة فهي بيت الله كما أنها مكان أداء ركن من أركان الإسلام، وبما أن الشخصيات مسلمة وفي مكان يخص المسلمين نشب صراع حول شجرة الكريسماس، وهذا التداخل بين الكريسماس ومكة سببه الشخصيات التي عاشت خارج بلاد المسلمين وشربت من الفكر الغربي عاداته وتقاليده، وبما أن سعداً لم يخرج إلى بلاد الغرب وبقي متمسكا بدينه فالكريسماس لا يعني له شيئاً سوى أنه طقس مسيحي يحدث كل عام في رأس سنة ميلادية، ورغم هذا الاختلاف إلا أنهم توحدوا في مكة تحت ظل الإسلام.

إذا فمكة في الرواية هي مكان مفتوح لأن العائلة انتقلت إليها واجتمعت فيها، كما أنها تستقبل وفوداً من المعتمرين من كل مكان بمختلف الثقافات، ومكة تمثل لشخصيات الرواية المكان الذي وجدت فيه متنفسها وأخرجت فيه كل ألامها والذكريات والصراعات الداخلية التي تحملها بسبب ما مر بها من حروب، وجروح، ثم غربة، ووحدة.

وفي الأخير نستنتج أن الأماكن السابقة في صراع مع بعضها خاصة العراق وبريطانيا، فالعراق أو بغداد تمثل القديم، والظلم والحزن والخوف أما بريطانيا فهي تجسد الجديد والسلام والراحة، رغم معاناة الشخصيات من الغربة لكن تبقى هذه الأماكن الغريبة هي التي أنقذتهم من موت محتم، أما مكة فهي تعبر الحاضر والمستقبل ونقطة انطلاق الشخصيات إلى حياة جديدة متصالحين مع ذواتهم ودون تأنيب ضمير أو إحساس بالألم.

1- الرواية، ص273.

وفي نهاية هذا الفصل توصلنا إلى أن الرواية لا يمكن أن نسميها رواية إذا اختل عنصر من عناصرها الأساسية (الشخصيات والزمان والمكان)، فبدون هذه العناصر لا يمكن تحريك الأحداث، كما نستنتج أن الصراع في الرواية ظهر في الشخصيات بشكل أكبر عكس ظهوره في الزمان والمكان، لأن الرواية تعتبر رواية شخصيات فهي تنقل في الأحداث على لسنان الأبطال، كما يظهر بالدرجة الأولى أن الصراع النفسي الأكثر ظهورا في الرواية مقارنة الأنواع الأخرى.

خـــاتـــمة

في ختام البحث يمكن تلخيص نتائجه على النحو الآتي:

- يتخذ مفهوم الصراع عدة أبعاد وهذا بتجليه في الحياة بوجه عام، لكن ما يعنينا هو المجال الأدبي الذي يعرفه بأنه تصادم بين الشخصيات وتضارب في المبادئ والأفكار، فالصراع قد يكون بين شخصيتين أو أكثر ويسمى الصراع خارجياً أو بين شخصية وذاتها ويسمى صراعاً داخلياً.
- يتداخل الصراع مع عدة مصطلحات أخرى وإذ كانت لا تحمل نفس معناه الأصلي، كالتنافس والنزاع والاختلاف.
- يحمل الصراع عدة أبعاد قد تكون نفسية، اجتماعية، سياسية، حضارية أو ثقافية، أو دينية...

❖ تجلى الصراع في الرواية في عدة أشكال منها:

- الصراع النفسي والذي يعد ظاهرة نفسية انفعالية، ترتبط بالجانب السيكولوجي للإنسان فقد برز في الرواية عبر صراع الشخصيات مع نفسها في تلك الحوارات التي كانت تخوضها في داخلها، وفي معاناة الشخصيات مع الألم والحزن والخوف.
- الصراع الديني وهو نوع من أنواع الصراع الذي يحدث عندما تتعارض القيم والمعتقدات، وظهر في الرواية عبر الصراع الطائفي بين الأفراد والجماعات التي تختلف في الأفكار والمذاهب.
- وبرز أيضا صراع الهوية في الرواية، وهو صراع يحدث نتيجة اضطهاد بعض أبناء المجتمعات المنغلقة على نفسها، مما يولد صراع الهويات فهم يتهيبون من الآخر ويرفضون الاحتكاك به والتعامل معه، ففي الرواية يظهر في شخصية مريم التي تبحث عن هويتها عبر صراعها بين هوية أصيلة وهوية مكتسبة، ويظهر أيضا في شخصية حيدر الذي يصور لنا الإنسان المهاجر الضعيف الذي يجري وراء أهوائه وشهواته حتى ينسى أصله وهويته فيدخل في صراع هوياتي هو الآخر.

- صراع تاريخي سياسي والذي يظهر في الرواية في صورة ربطها الكاتب بين عراق الماضي وعراق الحاضر، ونعني به صراع أو نزاع سياسي حدث في حقبة زمنية ويعاد سرده ليصبح صراعاً تاريخياً سياسياً.

❖ وظف الكاتب الصراع في البنية السردية وربطه بالعنوان والشخصيات والزمان والمكان.

- برز الصراع في الرواية من النظرة الأولى في عنوانها الموسوم بـ "كريسماس في مكة" والذي يحمل لفظتين متضادتين عقائديا، فالأول "كريسماس" يخص الديانة المسيحية، أما الثاني "مكة" فيخص الدين الإسلامي، والصراع ليس فقط في العنوان بل داخل المتن الرواية مليئة بالصراعات.
- ويظهر الصراع أيضا في الشخصيات وذلك من خلال صراع الشخصيات مع نفسها عبر المخاوف والحوارات النفسية التي تدور داخلها، وكذلك بعودتها إلى ذكريات الماضي المرير، كما ظهر الصراع في الحوارات الحادة التي دارت بين الشخصيات بسبب اختلافهم في الأفكار والقيم.
- تمثل الصراع أيضا في عنصري الزمان والمكان، ففي الزمان وجدنا صراع الأزمنة فيما بينها كصراع الزمن الماضي مع زمن الحاضر، والزمن الماضي مع المستقبل، أما في المكان فقد تجلى من خلال صراع الشخصيات داخل المكان أو صراعها مع المكان في حذ ذاته.

❖ فالرواية تحكي قصة عائلة عراقية تعرضت للمشاكل والمعاناة التي اكتوى بها الشعب العراقي بأكمله على مر العصور، الشعب الذي عاش أكبر مدة من تاريخه في صراعات سياسية وأيديولوجية مرتبطة أساسا بالصراع المذهبي والعرقي فقد ناقش الكاتب عدة قضايا نذكر منها:

- صورت الرواية جوانب مختلفة من آثار الحروب الطائفية في العراق وانعكاساتها على الشخصيات، وآثارها النفسية على الشخصية، إذ إن الصراع النفسي ينتزع

الحياة ويزرع اليأس، وحتى إذا انتهت هذه الحروب ظاهريا ستبقى محفورة في أذهان الشخصيات، وتمرض النفوس.

- الصراع بين التدين واللاتدين ويظهر في شخصية (مريم وحيدر وسعد).
- الصراع النفسي الذي يعيشه أغلب المسلمين في الغرب.
- الاغتراب وأزمة الهوية الوطنية والدينية.
- كما أن الرواية استخدمت الصراع بوجهين وجه جمالي فني، كعنصر بنائي لتحريك أحداثها وبناء النص، والوجه الثاني أداة استعملها الكاتب لبث أفكاره فيها.

هذه أهم النتائج المتوصل إليها في هذا البحث، والذي نأمل أن يكون قد أزال بعض الغموض الذي يلف موضوع الصراع في الرواية، وأن يكون نقطة انطلاقة لبحوث قادمة إن شاء الله.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية ورش عن نافع المدني.

أولا: المصادر:

- أحمد خيري العمري، رواية كريسماس، عصير الكتب، ط1، 2019.

ثانيا: القواميس والمعاجم:

- إبراهيم فتحي، معجم المصطلحات الأدبية، المؤسسة العربية للناشرين المتحدين، صفاقص، تونس، ط1، 1988.
- باتريس بافي، معجم المسرح، تر: ميشال ف. خطار، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط1، 2015.
- جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، لبنان، بيروت، د.ط، 1982، م1.
- جيرالد برنس، قاموس السرديات، تر: السيد إمام، ميريت للنشر والمعلومات، قاهرة، مصر، ط1، 2003.
- عبد المنعم الحفنى، المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، مكتبة مدبولي، القاهرة، مصر، ط3، 2000.
- فرج عبد القادر طه، واخرون، معجم علم النفس والتحليل النفسي، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ط1، د.ت.
- الفيروز ابادي، القاموس المحيط، دار الحديث، قاهرة، مصر، د.ط، 2008.
- فيصل الأحمر، معجم السيميائيات، دار العربية للعلوم ناشرون، الجزائر، الجزائر العاصمة، ط1، 2010.
- مجدي وهبة، كامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والآدب، مكتبة لبنان، ط2، بيروت، لبنان، 1984.
- ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، ط3، 1993، م10.

ثالثا: المراجع:

- أديب محمد الخالدي، المرجع في الصحة النفسية (نظرية جديدة)، دار وائل، عمان، الأردن، ط3، 2009.
- جميل حمداوي، سيميوطيقا العنوان، دار الريف للطباعة والنشر الإلكتروني، تطوان، المغرب، ط2، 2020.
- حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي (الفضاء، الزمن، الشخصية)، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1990.
- حميد لحمداني، بنية النص السردي (من منظور النقد الأدبي)، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنا، ط1، 1991.
- خليل نوري مسيهر العاني، الهوية الإسلامية في زمن العولمة الثقافية، مركز البحوث والدراسات الإسلامية، العراق، بغداد، ط1، 2009.
- خير الله عصار، مقدمة لعلم النفس الأدبي، منشورات بونة للبحوث والدراسات، الجزائر، عنابة، ط1، 2008.
- سيزا قاسم، بناء الرواية، دراسة مقارنة في "ثلاثية" نجيب محفوظ، مكتبة الأسرة، القاهرة، مصر، د.ط، 1987.
- عادل شداد، التوظيف الدرامي لأسطورة إيزيس وأوزوريس في المسرح المصري المعاصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، د.ط، 2015.
- عبد المالك اشهبون، العنوان في الرواية العربية، محاكاة للدراسات والنشر التوزيع، سوريا، دمشق، ط1، 2011.
- عبد الملك مرتاض، القصة الجزائرية المعاصرة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د.ط، 1990.
- عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية، عالم المعرفة، الكويت، د.ط، 1998.
- عبد لله بن صالح العريني، الاتجاه الإسلامي في أعمال نجيب الكيلاني القصصية، دار كنوز اشبيليا، السعودية، الرياض، ط2، 2005.

- عبيدي مهدي، جماليات المكان في ثلاثية حنا مينة (حكاية بحار – الدقل – المرفأ البعيد)، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق سورية، 2011.
- كمال الدين عيد، أعلام ومصطلحات المسرح الأوروبي، مر: إبراهيم حماده، دار الوفاء لدينا الطباعة والنشر، الإسكندرية، مصر، د.ط، 2005.
- ماجدة حمود، إشكالية الأنا والأخر (نماذج روائية عربية)، عالم المعرفة، الكويت، د.ط، 2013.
- محمد عزام، فضاء النص الروائي مقاربة بنيوية تكوينية في أدب نبيل سليمان، دار الحوار، اللاذقية سورية، ط1، 1996.
- محمد عمارة، مخاطر العولمة على الهوية الثقافية دار نهضة مصر، القاهرة، مصر، ط1، 1999.
- ميساء سليمان الابراهيم، البنية السردية في كتاب الإمتاع والمؤانسة (دراسات في الأدب العربي)، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، سوريا، د.ط، 2011.
- نجود عطا الله الحوامدة، "الصراع النفسي للشخصية المحورية في رواية خاتم للروائية رجاء عالم"، د.ب، د.ط، د.ت.
- ورد محمدي مكاوي عزب، وسحر حسين شريف، الصراع الفكري في السرد العربي المعاصر دراسات في الرؤية والأداة، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، مصر، الإسكندرية، ط1، 2018.
- ياسين النصير، الرواية والمكان، دار الشؤون الثقافية، بغداد، العراق، د.ط، 1980.
- يوسف حسين حجازي، عناصر الرواية، د.د، د.ط، د.ت، (نسخة الكترونية)، ص18.

رابعا: المجلات والدوريات:

- إبراهيم خطيب، هل نحن أمام صراع ديني؟، مجلة دنيا الوطن، العدد5، د.ت، ص36.
- أبو المعاطي خيري الرمادي، صراعات اثبات الهوية في الخطاب الروائي السعودي المعاصر: صراعات المرأة الوافد في (البحريات) نموذجا، مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات –العدد 33، حزيران 2014، ص46.
- الأزهر ضيف، جميلة زيدان، نقد نظرية الصراع وإسقاطها على الواقع العربي، مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية جامعة حمة لخضر، الوادي، ع20، ديسمبر 2016، ص189.
- أول ويفر، بصدد النزاع الديني في العالم العلمنة ليست حلا، تر: طارق عسيلي، مجلة الاستغراب، شتاء 2016، ص208.
- بوجمعة بوحفص، "الرواية والتاريخ وإشكالية التداخل"، مجلة إشكالات في اللغة والآدب، جامعة تامنغست – الجزائر، مجلد 10، العدد 2، 2020، ص507.
- بوشيبة الطيب، "البطل وأشكال الصراع في رواية (الخندق الغميق) لسهيل إدريس، مجلة (لغة – كلام) – مختبر اللغة والتواصل – المركز الجامعي بغليزان / الجزائر، العدد 07، سبتمبر 2018، ص51–52.
- حاتم زيدان، العيد جلولي، تمثلات الصراع الحضاري في رواية سيرابا لـ: محمد سعدون، جسور المعرفة، المجلد 7، عدد1، مارس 2021، ص412.
- سامية إدريس، الصراع الحضاري وكتابة التاريخ الراهن في رواية "القاهرة الصغيرة" لعمارة لخوص، مجلة التأويل وتحليل الخطاب، المجلد الثاني، العدد 2، أكتوبر 2021، ص83.
- سامية إدريس، صور الصراع في رواية "ص" لزرياب بوكفة – قراءة في المضمون، مجلة الخطاب، المجلد 13، ع1، جامعة عبد الرحمن ميرة، بجاية، ص135

- سامية ربيعي، في مفهوم النزاعات الدينية، المجلة الجزائرية للأمن الإنساني، العدد 6، ص116.
- عبد الكريم سعيد المدهون، الصراع النفسي وعلاقته ببعض المتغيرات لدى عينة من طلبة كليات جامعة فلسطين بغزة، مجلة دراسات وأبحاث المجلة العربية في العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 27، جوان 2017، السنة التاسعة، ص3
- محمد حكيمي، صراع الهوية بين الأنا والآخر في رواية (منبذو العصافير) لإسماعيل يبرير مقاربة سوسيو ثقافية، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، مجلد 9، عدد 5، السنة 2020، ص399-400.
- مصطفى النشار، مفهوم الدين وتصنيف الأديان التحليل العلمي والرؤى الفلسفية، الاستغراب 13، خريف 2018، ص154.
- منير محمود بدوي، مفهوم الصراع في الأصول النظرية الأسباب والأنواع، مجلة دراسات مستقبلية، العدد3، جويلية 1997، ص43.
- وهيبة دالع، التحول من الصراع الإيديولوجي إلى الصراع الحضاري: الخلفيات والابعاد، مجلة الأستاذ الباحث للدراسات القانونية والسياسية، العدد01، المجلد05، جامعة الجزائر3، 2020، ص685.
- يمينة براهمي، "بنية الشخصية في الرواية الجزائرية المترجمة رواية "صدمة" أنموذجا"، مجلة العلوم الإنسانية – المركز الجامعي علي كافي تندوف – الجزائر، المجلد 05، العدد01، نيسان 2021، ص 62-63.
- ينظر: جميل حمداوي، "الرواية السياسية والتخييل السياسي"، مجلة الكلمة، العدد 4، ابريل 2007، نسخة إلكترونية، www.diwanalarab.com.

خامسا: الرسائل الجامعية:

- أحمد ميساوي، أنواع الصراع في روايات نجيب الكيلاني، رسالة لنيل درجة الماجستير، (منشورة)، معهد اللغة والأدب العربي، جامعة تلمسان، 1993-1994.

- جبار نورة، أليات الصراع الدرامي في النص المسرحي الجزائري –دراسة تطبيقية لنماذج مسرحية جزائرية –، رسالة لنيل شهادة ماجستير، (منشورة)، قسم الفنون الدرامية، كلية الآداب والفنون، جامعة أحمد بن بلة 1، وهران، 2015–2016.
- رداوي خولة، بناء الأحداث والصراع في المسرحية الجزائرية عند ادريس قرقرة "المرآة الصقر" – أنموذجا –، مذكرة لنيل شهادة الماستر تخصص أدب جزائري، (منشورة)، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة والأدب العربي، جامعة محمد بوضياف – المسيلة –، 2016–2017.
- الزبير بن عون، تحليل سوسيولوجي للصراع في الهيئات المحلية المنتخبة "دراسة حالة المجالس الشعبية المحلية المنتخبة بولاية الأغواط"، مذكرة ماجستير فيعلم الاجتماع، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم العلوم الاجتماعية، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، 2001.
- زهيرة بنيني، بنية الخطاب الروائي عند غادة السمان –مقاربة بنيوية–، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه علوم في الأدب الحديث، (منشورة)، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة العقيد الحاج لخضر، باتنة – الجزائر، 2007–2008.
- سعاد، دحماني، دلالة المكان في ثلاثية نجيب محفوظ، رسالة ماجستير، كلية الآداب واللغات، جامعة الجزائر، 2008.
- شمار ابتسام، الصراع في رواية "وبدأ الظلام" لعمرو المنوفي، مذكرة ماستر تخصص أدب حديث ومعاصر، (منشورة)، كلية الآداب واللغات، قسم الآداب واللغة العربية، جامعة محمد خيضر بسكرة، 2020.
- قصي جاسم أحمد الجبوري، المكان في روايات تحسين كرمياني، رسالة ماجستير في اللغة العربية وآدابها، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة آل البيت 2015.

- محمد سالمي، جدلية الفني والتاريخي في رواية "كتاب الأمير" مسالك أبواب الحديد لواسيني الاعرج، مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماجستير، قسم الآداب واللغة العربية، كلية الآداب واللغات، جامعة محمد خيضر بسكرة، 2016/2015.
- مكاوي ربيعة، الأنساق الثقافية في رواية "كريسماس في مكة" لأحمد خيري العمري –مقاربة ثقافية–، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر، تخصص أدب عربي حديث ومعاصر، (منشورة)، كلية الآداب واللغات، قسم الآداب واللغة العربية، جامعة محمد خيضر بسكرة – الجزائر، 2020–2021.
- منير بهار العتيبي، البنية الزمكانية في روايات وليد الرحيب (دراسة وصفية تحليلية)، رسالة ماجستير تخصص اللغة العربية وآدابها، (منشورة)، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب والعلوم، جامعة شرق الأوسط، 2015.
- ميليا أرياني، دوافع الصراع السياسي في رواية "هاتف من الأندلس" لعلي الجارم، رسالة لنيل شهادة (s.hum)، في اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الرانيري الإسلامية الحكومية، دار السلام بند أتشة، 2020.

سادسا: المواقع الإلكترونية:

سميحة ناصر خليف، تعريف السياسة لغة واصطلاحا، 2019، موضوع، mawdoo3.com، 04–05–2022، 13:47.

فهرس

المحتويات

فهرس المحتويات:

العنوان	الصفحة
مقدمة	4-1
مدخل إضاءة على المصطلحات النقدية	20-5
أولا: مفهوم الصراع	6
ثانيا: بعض المفاهيم المرتبطة بالصراع وتتداخل معه	10
ثالثا: أسباب الصراع	12
رابعا: الصراع في الرواية العربية	14
الفصل الأول: الصراع وتمثلاته في الرواية	63-21
أولا: الصراع النفسي	21
ثانيا: الصراع الديني	37
ثالثا: صراع الهوية	50
رابعا: صراع تاريخي سياسي	57
الفصل الثاني: الصراع والبنية السردية في الرواية	119-64
أولا: صراع العنوان	65
ثانيا: صراع الشخصيات	68
1-صراع الشخصية مع نفسها	71
2-صراع الشخصيات مع بعضها	82
ثالثا: صراع الزمكاني	96
1-صراع الزمان	96
2-صراع المكان	105
خاتمة	120
قائمة المصادر والمراجع	124
فهرس المحتويات	132

ملخص الدراسة:

هذه الدراسة عبارة عن محاولة لاستجلاء أشكال الصراع المبثوثة في كنف رواية "**كريسماس في مكة**" للروائي **أحمد خيري العمري**، والتي يظهر فيها الصراع بصورة واضحة بداية من العنوان الذي يحمل لفظتين متضادتين، ثم في الشخصيات سواء صراعها مع نفسها أو بين الشخصيات (فيما بينها)، فهي رواية تحكي قصة ناجين من حروب وصراعات عرقية ودينية وغيرها..، وما خلفته هذه الحروب من آثار على الشخصيات من صراعات وغربة وآلام وانكسارات. كذلك يظهر الصراع في الزمان والمكان باعتبارهما اللبنة الأساسية في كل رواية. كما يتجسد الصراع في الرواية بأشكال مختلفة مثل: الصراع النفسي والديني والهوياتي والتاريخي. وعليه قسمنا بحثنا إلى مدخل نظري وفصلين زاوجنا فيهما بين النظري والتطبيقي.

فقد عرضنا في المدخل بعض المفاهيم المتعلقة بالصراع، وأسبابه، وتجلياته في الروية العربية، أما الفصل الثاني فتناولنا فيه أشكال الصراع الموجودة في الرواية، والفصل الثاني تطرقنا فيه إلى الكشف عن الصراع داخل البنية السردية (عنوان – شخصيات – زمكان).

Study summary:

This study is an attempet to elucidate the forms of conflict broadcast in the novel **"Christmas In Macca"** by the writer **Ahmed Khairy El Omari**, In which the conflict clearly appears, starting from the title, which carries two opposite words, then in the characters whether they struggle with themselves or between the characters (among themselves), it is a novel that tells the story of survivor of wars, ethnic, religious and other conflicts..., the effects of thes wars on the characters of conflicts, alienation, pain, and breakthroughs. Conflict also emerges in time and space as the assentail building blocks of each novel. Conflict is also embodied in the novel in different forms: psychological, religious, identity, and historical. So we divided our searsh into theoretical entrance and Two chapters in which we have paired between theoretical and applied.

At the entrance, we presented some concepts relating to the conflict, its causes, and its manifestations in the arab narrative, Chapter tow addresses the forms of conflict found in the novel. Chapter three addresses the detection of conflict within the narrative structure (title – characters – time and space).